العيد الكبير للإيزديين

الكاتب الالماني الشهير
كارل ماي

ترجمة
داود مـراد الختـاري

أسم الكتاب: **العيد الكبير الإيزديين**

المؤلف: **كارل ماي**

ترجمة: **داود مراد الختاري**

تصميم: **رشاد بيجرماني**

الطبعة: **الأولى خريف** 2008

عدد النسخ:500 **نسخة**

مطبعة: **ئازادى/ دهوك**

رقم الإيداع: 442 **لسنة** 2008 **من مكتبة بدرخانيا، دهوك.**

حقوق الطبع محفوظة للمترجم ©

أخي داود/

حقاً إنها لمأثرة تستحق التدوين والتذكير ، وهي بحد ذاتها جزء من تاريخ العذابات الإيزدية التي طالتهم ليس من المتحضرين ، بل من أحط البشر تخلفاً وبأساً وظلاماً وتعصباً أعمى، الذين مزقوا التاريخ الإنساني للإيزديين الموحدين والمحبين لنور الله قبل تمزيق أجسادهم... علينا جمع هذه الأوصال المقطعة والمجتزا من دين، وتوحيد هذه الأوصال وتدوينها ولملمة كل شاردة و واردة وكل حكاية نسمعها من هنا وهناك عن الإيزديين وهي حلقة مفقودة وبها يكتمل التاريخ الإنساني التوحيدي للكورد الأصلاء.

صباح جبور

الاهداء:

إلى كل من كتب بأمان ولم يزور الحقائق، وكل من ساند الناس المغلوبين على أمرهم.

(المترجم)

المقدمة

الكاتب والروائي الألماني:

كارل ماي (1842–1912) ألف الكثير من المقالات والروايات، ولديه مجموعة من الكتابات عن طبيعة الشعب الكردي، وبما إن الإيزديين هم الجزء الأصيل من القومية الكردية فخص الجزء الأكبر من كتابه (عبر الصحراء) عن حادثة للايزدية أثناء العيد الكبير لهم ، وكأنما هي واقعة فعلاً وقد حاول كارل ماي بيان عادات وتقاليد وشجاعة وكرم الايزدية، وبين حقيقة الديانة الايزدية، وكيف يتم التعامل مع معتنقيهاً من قبل الأقوام والحكومات القريبة منهم، وكما أظن إن مثل هذه الحوادث واقعية قد مرت على الإيزديين، وإنهم قد ذاقوا العشرات من حملات الإبادة، لكن كارل ماي قد غير بعض الأشياء والمواقع والأسماء، بالرغم من معلوماته البسيطة عن الايزدية، مما سمعه من الرحالة الألمان والأوربيين الذين جاءوا إلى مناطق الايزدية، جاءوا لبحث الدقة عن العادات والتقاليد، وعن ماهية الديانة الايزدية، لان الكثير من الكتاب (سامحهم الله) قد لفقوا أشياء عن الديانة الايزدية لا أساس لها، لذلك فإن أكثر الكتاب يحاولون الوقوف ميدانياً على العادات والتقاليد والمراسيم و الطقوس التي تجرى في الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية وخاصة مراسيم الأعياد التي تقام في معبد لالش، وعدم الاعتماد على تلك الكتب الملفقة.

هذه الحادثة قد ترجمها الأستاذ (حجي جعفر) تحت عنوان (عبر الصحراء) إلى اللغة الكردية مع أربع قصص أخرى تتحدث عن الواقع الاجتماعي في كردستان في كتاب بعنوان (خمس قصص قبل قرن عن كردستان)، وبعد قراءتي

للمجموعة القصصية رأيت من الواجب، ترجمتها إلى اللغة العربية، ضمن ثلاث كتب، فهذه الحادثة لكونها مطولة ترجمتها في كتاب خاص تحت عنوان (العيد الكبير للإيزديين)، الكاتب لم يذكر فيها سنة الكتابة، ولكونه عاش في فترة (1842-1912)، من البديهي مرّ قرن على هذه الحادثة، و لتقديمه خدمة جليلة لجزء من التاريخ والأدب الكردي، فمن الواجب الملقى على عاتقنا أن نترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية وطبعه، وذلك ليتعرف قراء العربية على المزيد منه .

كماً أود أن أوضح ولكوني احد أبناء هذه الديانة، بان الكاتب قد وقع في هفوات عديدة في شرحه لمفهوم الديانة الايزدية، لكني لا اعلم السبب في ذلك، منها مسالة (الديك) إذ لا صلة للايزدية بها، وأمير الحج سماه أمير شيخان، وأعطى لـ علي بك رئيس الايزدية وقائدهم، ولم يعطي صفة الرئيس الروحاني كما هو الآن، بل كان يسال أمير شيخان (مير حج)عن كل مسالة تخص الدين، ولا يتدخل في الأمور الدينية، واعتبر أمير شيخان (مير حج) هو الرئيس الروحاني للديانة الايزدية ووصفه في مرتبة (بابا شيخ)، وقد سمي معبد لالش بـ (وادي شيخادي)، والاهم في ذلك انه أخطا في موضوع هجرة الايزدية إلى المنطقة، لأنهم أصلاً موجودون في هذه الأرض منذ الأزل ويقول على لسان احد الشخصيات بان الشيخ عادي بن مسافر (ع) هو أقدم تاريخياً من الأنبياء هذا ما ينفيه الأيزيديون والتاريخ أيضا، أما إغتسال الذنوب بالنار، فانه غير وارد في الديانة الايزدية، وأما الآلات الموسيقية المقدسة فهي(الدف والمزمار) وليس المزمار والتنبور، وبالرغم من أن استعمال آلة التبورظاهرة شائعة لدى المجتمع الكردي عامة، والايزدية خاصة، والبرات مقدسة لدى الايزدية وتهدى تبركاً ولا تباع، وبالرغم من أن الحجاج يقدمون صدقاتهم ويستلمون البرات، لكنها ليست عملية بيع.

أتمنى من الله إني قد وفقت في ترجمة هذا الكتاب، بغية أن يستفد منه اكبر عدد من قراء اللغة العربية، كما أتمنى من الله إن يوفقني في ترجمة وطبع بقية القصص عن الشعب الكردي...

والله ولي التوفيق

داود مراد الختاري
2007 / 8 / 4

رأيت ثلاث أشخاص في الصحراء، مدفونين في التراب حد العنق عنـــد عـــرب (أبو احمد) قرب نهر دجلة، في بيجي منهكين لحد الموت من الجوع والعطش، عندما سألتهم لم يستطيعوا التحدث، لكن أحداً منهم قال: يا أدي، اندهشت، وسالت نفسي ، أدي؟ أليس الذي يقدسونه الايزدية .

- من أتى بكم إلى هنا؟ (لم يستطع أحداً منهم التحدث) ناديت زملائي وتم إخراجهم من التراب وتهيأتهم وإركابهم على الجمال وإيصالهم معنا إلى عرب الحديدية، وعندما تحركت ألسنتهم قليلاً قلت لهم.

- من انتم؟.

- نحن من أهل باعذرة.

- باعذرة؟هذه اسم قرية ايزيدية.

بعد أن مشينا قليلا، قلت لخادمي، هل اعتنيت بالرجال الثلاثة جيدا، أهم مرتاحون فوق الجمال؟

- بكل تأكيد، كأنما هم في جلسة الباشا.

- هل أكلوا شيئاً ؟

- تناولوا الحليب فقط.

- أفضل، هل يستطيعون التحدث؟.

- يتحدثون بلغة لا أفقه عليها.

- إنها اللغة الكردية، أعتقد أنهم عبدة إله الشر.

- عبدة إله الشر؟ يارب استرنا ! كيف يجوز، أنهم يعبدون اله الشر يا أستاذ؟

- هم لا يعبدون إلا الله، الناس وضعوا هذه العلاقة بينهم، هم أبطال، كرماء.

- أوه؟ لهذا هم يتكلمون بلغة خاصة، كي لا يفهمهم المسلمون، هل تفقه ياأستاذ؟

- لا، لم افقه شيئاً.

- لا تفقه؟أستاذ هذا غير ممكن، أنت تدرك كل شيء!

- أقول لك إني لا افقه هذه اللغة.

- انك لا تفقه أبدا؟

- نعم أفقه بعض الكلمات، أستطيع التحدث معهم ببعض الكلمات.

- هل رأيت، كنتُ صائباً بقولي يا أستاذ!

- أللّه وحده يعلم بكل شيء، والناس يعلمون القلة. بعد ليلة من الاستراحة، استيقظنا صباحا، سألت الرجال الثلاثة.

- أتستطيعون التحدث؟

- نعم يا أفندي.

- قولوا لي من انتم؟

- اسمي بالي وهذا زلك واسم هذا ملف.

- من انتم، من باعذرة،(قلت لهم)؟

- نسكن في باعذرة ،شمال الموصل .

- من وضعكم في ذلك التراب؟وكيف وصلتم إلى هنا؟

- نحن رجال أمير الشيخان،نريد الذهاب إلى بغداد.

- تذهبون إلى بغداد؟ ألستم تابعين إلى الموصل.

- أستاذي، باشا الموصل شخص ظالم، إنه يظلمنا، نذهب إلى باشا بغداد لتقديم شكوى على باشا الموصل.

- بأي شيء أتيتم؟ كيف أتيتم إلى الموصل، من خلال نهر دجلة؟

- لا، لا ، ذهبنا إلى نهر الكومل وهناك صنعنا قارباً وعبرنا إلى نهر الخازر ثم أتينا إلى الزاب الكبير الذي يصب في نهر دجلة، عند نزولنا من دجلة كي نستريح، استرخينا لننام بعض الوقت ،فهاجمنا رجال أبي احمد وتم اعتقالنا.

- إنهم سلبوا أموالكم.
- شيخهم (زيدان بن هولي) سلب كل شيء وطلب منا إرسال خبر إلى ذوينا بدفع الفدية مقابل إطلاق سراحنا.
- أرسلتم الخبر؟
- لا ، لأننا فقراء ولا نملك أية مبالغ تذكر.
- لكن لم يكن بعيدا بان أغاكم كان يدفع المبلغ لإطلاق سراحكم.
- إذاً كنا كتبنا له – بالتأكيد كان سيبعث لنا المبلغ – لكننا على يقين بان أبا احمد كان سيقتلنا لا محال.
- أحسنتم، لو كنتم دفعتم المبلغ أيضا، كان سيقتلكم.
- إنهم غرسونا في التراب للموت، شدوا أيدينا وأرجلنا وعلقونا وعذبونا ثم غرسونا في التراب، كي نموت ببطا جوعا وعطشا .
- في هذه المدة كنتم مقيدين؟
- نعم.
- أتعلمون، إننا قبضنا على هذا الشيخ؟
- حاجي خلف عمر قال لنا .
- من الضروري أن ينال هذا الشيخ جزاءه.
- أفندي لا تكن حنينا تجاهه.
- كيف نحّن عليه؟
- نعم عاقبه بدون رأفة، أنت مسلم وتود الثأر، خذ ثأرنا، لكننا ندين بدين آخر، نحن لا نستطيع أن نفعل به شيئاً ، سنسامحه.
- إنكم مخطئون لست مسلما ، أنا مسيحي.
- أنت مسيحي؟ (قال أحدهم بجرأة) كلداني؟
- لا أنا أوربي.
- أتعرف مريم، أم عيسى؟ هل تؤمن بعودة عيسى مرة أخرى؟

- نعم.

- يا أستاذ - دينكم ممتاز، كم فرحنا وقد أصبحنا أصدقاؤك، نريد أن نرى الشيخ ابا أحمد لقد عذبنا .

- سو ف تروه، هل تعلمون إلى أين نحن ذاهبون؟

- نعم، نحن ذاهبون إلى وادي درجة.

- هناك سوف ترون الحديديين وشيخهم، سيكونون في استقبالكم (عندماً وصلنا إلى وادي درجة كان شيخ الحديديين محمد أمين في استقبال الضيوف، قال لي حاجي خلف إلى أين أرسل الرجال الثلاثة؟ قلت له ليكونوا مع الشيخ محمد أمين، كي يستريحوا، وعندما سمع باسم محمد أمين قال زلك هذا هو محمد أمين بعينه؟

- نعم ، أنا محمد أمين الشمري.

- لا، أنت حديدي ولست شمريا؟

- الحديديون يرجعون إلى شمر.

- يا شيخ لك مني بشرى.

- بشرى !

- نعم في باعذرة، قبل أن نأتي، ذهبت إلى عين الماء، رأيت هناك بعض رجال الجندرماً (الشرطة) كان معهم رجل مقبوض عليه، قال لي، إسقني ماءاً ، جلبت إليه الماء، وبحجة إرواء الماء قال لي بصمت، اذهب وقل لأبي محمد أمين شيخ الحديديين، بان الجندرماً قد قبضوا علي وسوف يرسلوني إلى سجن العمادية، هذا هو الخبر الذي أردت أن أقول لك (ذاكرة محمد أمين قد عادت إلى الماضي وقال ابني أماد الكاندوراً هو ابني، هو ابني).

- كيف كان وجهه.

- شخص طويل وأضخم منك، لحيته سوداء متدلية على صدره.

- انه ابني، سررت بهذا الخبر يا رجال، الحمد لله، وصلتني معلومات عن ابني، من الضروري أن نحضر مأدبة بهذه المناسبة،

- منذ متى لم ترهُ؟

- منذ ستة أسابيع ، شكرا" لك، ستة أسابيع كثيرة، لكن المهم أن لا يتعذب ابني أكثر من هذا، أما أن أرجعه أو اقلب العمادية عإليها سافلها، كارابن نمزي، هل ستأتي معي،أم سأذهب لوحدي؟

- سآتي معك.

- يرضى عنك الله، تعال وبشر جميع الحديديين (عندماً ذهب محمد أمين ليبشر الحديديين)، جاءني خلف وقال، أستاذ حقاً ستذهب معهم؟

- نعم سأذهب معهم.

- سآتي معكم أيضا.

- خلف فكر بامرأتك

- زوجتك امرآة محترمة وذات عقل رزين، لكنك بحاجة إلى خادمة أمينة.

- نعم تعال معنا، لكن قبل ذلك من الضروري أن تسال الشيخ محمد أمين وشيخ مالك وتحصل على موافقتهم.

(تركت أصحابي عند عرب الحديدية، وسافرت مع الشيخ محمد أمين للذهاب إلى العمادية لنطلق سراح ابنه من السجن، كان من المفترض ، قبل هذا أن اذهب إلى والي الموصل، لأكون تحت ظله، أنا وخادمي حاجي خلف عمر ذهبنا إلى والي الموصل، وذهب محمد أمين إلى خورسباد، لينتظرناً هناك، الآن أنا وخادمي في الموصل، ودرجة الحرارة 46 درجة مئوية، واستأجرناً سرداب ودخلناً فيه، جرى حوار بيني وبين خادمي، قال لي: لم أكن أفكر بذلك يا سيدي؟

- أية فكرة؟

- لن نرجع مرة أخرى إلى الحديدية.
- لماذا لا نرجع؟
- لنذهب إلى العمادية يا سيدي؟
- أزرتهاً سابقا؟
- نعم زرتها، لكن المسلك إلى العمادية وعر جدا، والله إنه طريق الموت،بل طريق الجحيم.
- انه طريق خطر، حاجي خلف عمر؟
- الم تصدق يا سيدي؟ سوف أبين لك حقيقة ما أعلم، سوف نذهب إلى منطقة الرجال الثلاثة، الذين أسماؤهم بالي، زلك، ملف، الذين أنقذتهم من الموت.
- هي الحقيقة .
- يعني أنا وأنت الآن في أعداد الموتى، أنا وأنت وأي شخص يمتلك الإيمان يذهب من خلال الإيزديين سيقتل.
- انه خبر جديد ،لم اسمعه من قبل ،خلف من قال ذلك؟
- جميع المسلمين يدركون، ألم تسمع لحد الآن؟يقال عن منطقتهم الذين يعيشون فيها وطن الأبالسة؟
- (آه، الآن أدركت، لماذا خلف يقول هذا الحديث، انه يخاف من الايزدية، تجاهلت ذلك وسألته:وطن الأبالسة، ابليسستان؟كيف؟
- الذين يعيشون هناك، إنهم أحفاد إبليس، ويعبدونه
- خلف ، هل هناك أشخاص ، يعبدون إبليس؟
-نعم هناك، لم تسمع بعد عنهم؟
- نعم، لقد سمعت، لكنهم بعيدين من هنا، في استراليا، هناك بعض الأشخاص شبه وحشيين يعبدون إله الشر ويقال عنهم (ياهو) لكن هنا لا احد يعبد إبليس.
- أستاذي انك أفقه مني، ومن الكثيرين، لكن بعض الأحيان عقلك يتخبط، اسأل المسافرين في الطريق عن الذين يعيشون في ابليسستان، إن لم يقولوا إنهم عُبّاد إله الشر؟

- أرأيتهم يعبدون إبليس؟
-لا، ولكنني سمعت.
- الذين سمعت منهم، هل رأوا بأعينهم إن الذين يعيشون في ابليسستان إنهم يعبدونه .
- إنهم أيضاً قد سمعوا من الآخرين
- خلف أريد أن أقول لك، هذه أقاويل، لأنه عندما يصلّي الأيزديون لله لا يريدون أن يراهم احد.
- أحقا؟
- حقا، القليل من الغرباء يرونهم وهم يصلون.
- مع ذلك يدرك الإنسان كل شيء عنهم.
- كيف؟
- الم تسمع بـ (الليلة الظلماء)؟ في الحقيقة، أخاف من هذه الكلمة، ولم أدرك معناها.
- معناها، يعني الظلام و انطفاء المشاعل.
- أرأيت يا أستاذ، إنهم عندما يريدون أن يصلوا، يصلون في الظلام، ويطفئون المشاعل.
- الذي قال لك هذا، كذب عليك كذبة كبيرة، انه خلط الإيزديين مع الآخرين، ماذا تعرف بعد عنهم؟
- الديك أو التاووس في القبب وأماكن عبادتهم، إنهم يعبدونهم كما يعبدون إلاههم
- خلف أفكارك ضعيفة، قل لي هل للايزدية العديد من أماكن العبادة؟
- نعم سيدي، في كل مكان هنالك ديك.
- إذاً كان كذلك، فكم إبليساً أصبحوا ، اعتقد هنالك إبليس واحد.
- نعم سيدي هنالك إبليس واحد، لكنه في كل مكان، ولديهم ملائكة كذابين.
- إلى هذه الدرجة؟

- أتعلم ورد في القرآن الكريم،بأن هناك أربعة من رؤساء الملائكة، يعني، جبرائيل، واسرافيل، وميكائيل، واسرئيل، لكن للإيزديين لديهم سبعة ملائكة، جبرائيل، ميشائيل، رافائيل، اسرافيل، ديدرائيل، اسرائيل، شيمكى، أليست هذه أكذوبة؟

- اعتقد أيضاً هنالك سبعة رؤساء للملائكة

- أنت أيضاً ؟ لماذا؟(انه سألني بتعجب)

- الكتاب المقدس للمسيحية يذكر فيها، واني أعتقد بهاً أكثر من القرآن الكريم.

ياً أستاذ، ما هذه الأقاويل، انك ذاهب إلى مكة وأصبحت حاجاً ، كيف يجوز الاعتقاد بكتب الأصحاب بدون إيمان من أحاديث النبي، أما الآن لم يبق لدي شك، انك تود الايزدية وتود زيارتهم

- إذاً خفت إلى هذه الدرجة، ارجع وسأذهب لوحدي

- ارجع ! لا ، ليس بعيداً النبي محمد قد تحدث عن الملائكة الأربعة فقط، لان بقية الملائكة في ذلك الوقت لم يكونوا في السماء، إنهم كانوا في الأرض، لذلك النبي لم يعدهم

- أقول لك يا خلف، لا داعي للتخوف من الايزدية (وضحكت)إنهم لا يعبدون إبليس، ولا يذكروا اسمه، الايزدية أصحاب شهامة، نظيفين، ذو اعتقاد، أبطال، يدركون الفضل، ذوي الخبر الصحيح

أتقول إنهم لا يؤذونني، لأني لا اعبد إلاههم؟

- لا ، إني أطمئنك

- لكنهم سيقتلوننا

- لا يقتلونني ، ولا يقتلونك

- إنهم قد قتلوا الكثيرين، لكنهم ليسوا مسيحيين، وإنماً من الأمة الإسلامية، لأن المسلمين قد قادوا ضدهم حملات الإبادة، وليس المسيحيين وأناً مسلم.

- إنهم أصدقاؤك، لأنهم أصدقائي، الم تراعي الايزدية الثلاثة الذين حررناهم، حتى تعافوا؟

- هذا صحيح يا أستاذ، أنا لن أتركك، سأتي معك (هنأ انتهى الحديث لأن جندرماً والي الموصل أتوا إلي، كي اذهب إلى الوالي، والآن أنا في مجلس والي الموصل، كنأ في الحديث المستمر، وكنأ لوحدنأ انسجمنأ وأكلنأ سوية، حديث جرى حديث آخر، إلى أن أتينأ إلى حديث الأكراد، الوالي سألني

- آخر بلد ذهبت إليه؟

- مصر، ومن هناك وعبر الصحراء أتيت إليك

- كان من الأفضل، انك لم تذهب الى الشمر

- لماذا؟

- لأنهم كانوا سيقتلونك، إنهم سيئي السمعة، أردت أن أقود حملة ضدهم لكنها لم تفلح، لأني سأهاجم مكان آخر

- من ستهاجم؟

- انه سر الدولة – لا يجوز لأحد معرفته، غداً وبعد غد، سنأتيك بالمصابين كي تعالجهم وتداويهم.

- غداً أو بعد غد، لن أبقى هنا

- لا يجوز أن ترحل، ستكون في ضيافتي.

- سأرحل وأرجع، عندهأ سأكون ضيفك

- إلى أين ستذهب؟

- اتجه شمالاً نحو جبال الأكراد

- إلى أين؟

- لحد الآن لم أقرر، ليس بعيدا، حتى تورشيناً وقد اصل جولميرك

- ماذا ستفعل هناك؟

- أريد أن أتعرف على شعبهم، واعرف كيف يتعامل الناس هناك، كيف يعيشون، كذلك اكتب بحثاً عن الأشجار والحشائش في تلك المنطقة

- لماذا أنت مستعجل لهذا الحد، إلا تستطيع البقاء عندي يوماً ؟

- لان الحشيش الذي أريده سينفذ مفعوله،

- لا داعي من إجراء البحث حول الناس هناك، لأن جميعهم أكراد ولصوص، بعض منهم إيزدية، عليهم لعنة الله، أعشاب الحشيش لمن؟ لماذا تجري الأبحاث عنه، أنت حكيم وبحاجة إلى الأدوية.

- لكنك لم تفكر، قد يقتلك الأكراد!

- إني ذهبت إلى أقوام الارناووط – باشبزوخ

- نعم – عندي أفضل السلاح، لكني بحاجة لمساعدتك أيضا".

- مساعدتي؟

- نعم مساعدتك – سلطتك تمتد إلى العمادية وماً بعده.

- ليس لي سلطة ما بعد العمادية، لدي ما يقارب 3000 مسلح في العمادية.

- يبدو إن العمادية قلعة محصنة؟

- ليست محصنة فقط بل لن تحتل أبدا"، عمادية مفتاح أمام الأكراد المستقلين، نعم حتى الأكراد الذين ضمن سلطتناً من الصعب السيطرة عليهم

- أقرأت بويورولدوا، وضعتني تحت ظلك؟ وأناً أتيت من اجل ذلك، لأكون تحت ظلك

- من الضروري أن أحافظ عليك، بشرط أن ترجع وتصبح ضيفي (قال المتصرف) .

- على راسي، سررت بذلك.

- سأعطيك حارسين ليكوناً برفقتكم، هل تعلم انك ستمر من خلال الإيزديين؟

- اعلم ذلك

- إنهم شعب غير صالح لا يصغي، يجب أن نريهم الويل، إنهم عبدة إبليس، يسهرون الليل، يتناولون الخمر، أتعلم لغتهم؟

- لغتهم كردية.

- لهجة كردية،القليل منهم يجيدون اللغة العربية.

- لا أجيد هذه اللهجة.

- سأعطيك مترجما.

- اعتقد لا داعي، الكردية والفارسية، من نبع واحد، وأناً أجيد الفارسية

- أنا لا اجيدهما، انك اعلم بعملك، إذ تحتاج إلى مترجم أم لا، مع ذلك لا تتأخر عندهم، لا تقضي فترة الاستراحة هناك، استمر في سيرك، وإلاً ستكون الأمور في غير صالحك.

- لماذا؟

- إنها أسراري، أقول لك فقط لا تتأخر عندهم، وإذاً أصبح رجالي ثقلاً عليك، اشرب.

- رجالك يستطيعون مرافقتي إلى العمادية فقط؟

- أي منطقة تأتي بعد العمادية؟

- بعد العمادية أكراد البروارية.

- ما هي عاصمتهم؟.

- قومرية ، قلعة حصينة، إنهم يعيشون في تلك القلعة، سأعطيك رسالة لهم، الرسالة سترى نتيجتها، لن أستطيع أعطائك ضماناً ، متى ستذهب؟

- غداً في الصباح الباكر.

- حقاً سأجلب الختم، واكتب لك الرسالة (ذهب شكيب خليل باشا، وبقيت لوحدي في الغرفة)، كانت بعض الأوراق قد تناثرت في مكان الوالي، عندما أتيت إليه كان منشغلاً بهم ، واحدة منهاً تخطيط، فعندماً أمعنت النظر فيها، تبين إنها محاولة للهجوم على معبد لالش، أتى الوالي، وبقيت بحالة

طبيعية، قال لي، هذه الرسالة إلى بك الأكراد، وأخرى إلى قائمقام العمادية وأخرى عامة إلى كل مسوؤل بإمرتي.

- سررت بذلك.

- إذاً رجعت من جبال كردستان، سأبعثك إلى عرب الشمر، لإجراء بحث عنهم وعن موطنهم، وبعدها بسهولة أسيطر عليهم، وأود أن تكتب لي معلومات عن الايزدية أيضاً ، لكن فات الأوان لأني أعددت كل شيء لهم.

- الآن فهمت جيداً ، ما كنت أفكر فيه حقيقة، الوالي قد اعد العدة والجيش للهجوم على الايزدية.

- من الضروري عدم التأخير في موطن الايزدية، اعبر بسرعة (قال الوالي) لا تنتظر عيدهم الكبير.

- أية عيد.

- عيدهم المقدس، إنهم يبدؤون بهاً عند قبر الشيخ عادي، خذ هذه رسائلك، كان الله معك، متى سترحل من المدينة؟

- مع غدوّ صلاة الفجر.

- في الصباح، الحراس العشرة سيكونون معك.

- أحسنت يا مولاي، يكفي حارسين.

- إلا تعلم العشرة أفضل من اثنين، خمسة من الارناووط، خمسة من الباشبزوخ، وإذاً رجعت بالسلامة، لا تنسى إني احبك.

(انهاً إشارة لي بالنهوض، وقمت باحترام وخرجت واتيت إلى فراشي عند رفيقي حاجي خلف عمر).

- ما دار بيننا أنني تحدثت إليه، وفي الصباح وحسب تعليمات الوالي، عشرة حراس كانوا مهيئين عند الباب، خمسة ارناووط، خمسة باشبزوخ، جذب انتباهي احد الباشبزوخ لأنه كان يلبس ملابس غريبة ويعجب الرّائي وإنه مفتول القامة واضعاً الريش على رأسه، ولابساً بعض نياشين الأبطال على صدره، كان عديم الأنف، فارس الحمار، حاصلاً على درجة

بولوك الأمين في الجيش التركي اسمه (ايفرا)، كان يترأس الحراس الأربعة الباشبزوخين، بعد التحية وبعض الحديث قال لهم خلف:

- أتعلمون سنذهب من خلال الايزدية؟

- نحن نعلم.

- إلا تخافون من عبدة أبليس؟

- خوف؟حاجي خلف عمر، هل سمعت بان الاورناووط يخافون؟

(بعد الإعداد، بدأنا بالسير من نهر دجلة على الجسر الخشبي المتحرك عبرنا إلى الضفة الأخرى، من هناك عبرنا نهر الخوصر، ثم سرنا إلى خورسباد، رأينا صديقنا محمد أمين بيد الجندرما (الشرطة)، بالحيل أنقذناه من أياديهم وسار بمعييتنا، وهنا انقطعوا عني الحراس العشرة وتاهوا، وبقينا أنا وخلف وشيخ محمد أمين، من خورسباد وصلنا إلى قرية الجراحية ثم باعذرة، عند الطريق قلت لمحمد أمين في نية والي الموصل الهجوم عليكم، لكن قبل ذلك سيهجم على الإيزديين، تم إعداد جيشه وسيهجم غداً على وادي لالش، بعد مسيرة عشرة ساعات بالأقدام، وصلنا إلى قرية باعذرة، كنا متعبين ،بجانب القرية سالت احد القرويين:

- ما اسم (بكـ).

- علي بك.

- أين داره؟

- تعالوا معي، سأدليكم عليه.

- مع ذلك هذا الأيزيدي وصلنا إلى باب دار علي بك وقال لنا.

- هذا بيته، انه في الداخل، ثم رجع، رأيت الوضع غير طبيعي في القرية، ازدحام في مرور الأشخاص عدا الدور والأكواخ، هنالك خيم منصوبة، وأمامهم ربطوا حيواناتهم،

الناس في ذهاب وإياب ، كانوا منشغلين إلى حد لم يعلموا بمجيئنا، خلف قال لي: انظر إلى هناك، أشار إلى حمار، أتعرف لمن هذا الحمار، عندما نظرت إليه قلت: هذا لبولوك أمين، من أين أتى ووصل قبلنا، ترجلت من فرسي، تقربت من الدار المربوط أمامه الحمار، وسمعت، ايفراً يقول:

- أحقا: لم تستطع أن تؤمن لي مأوى؟

- لا امتلك مأوى (قال صوت).

- أنت صاحب القرية (المختار) يجب أن ترى لي مأوى!

- سابقاً قلت لك، لا يوجد مأوى هنا، باعذرة ازدحمت بالناس، لوجود الحجاج، لا يوجد دار فارغة ، لماذا الأفندي العائد لك ، لم يجلب معه خيمة؟ (قال المختار)

- أفندي، بطل، بك كبير، صيته اكبر من جميع أمراء الإيزديين.

- أين هو؟

- سيأتي، انه توجه إلى المسجونين يريد إلقاء القبض على مسجون هارب،

- أمجنون أنت؟ يقبض على سجين هارب.

- هاهاً – هكذا ! انه مرخص من السلطة، يحمل رسائل عدة من والي الموصل، وهذه هويتي.

- من الأجدر أن يحضر أستاذك بنفسه.

- كيف يأتي بنفسه؟

- انه كودجية الأموال النقدية، وتقول يأتي بنفسه، أريد أن أتحدث مع الشيخ.

- غير موجود هنا.

- نعم، سأذهب إليه، أنا بولوك أمين الوالي، راتبي الشهري 25 فلسا".

- وماذا تستلم بعد؟

- أشياء آخرى، سأقول لك، كيلوين خبز، 255 غم لحم، 20 غم زبد، 75 غم رز، 15غم ملح، عداً الصابون والزيت هل علمت؟وإذاً تهمك انفي، سأقص عليك لماذا أنا عديم الأنف؟ في ضراوة معركة – انفي.....

- ليس لدي الوقت الكافي لأصغي إليك، أتريد أن تتحدث مع الـ (بك).

- قل له، لا تنسى، لن اذهب من هنا حتى أقابله، وفي هذه اللحظة، أنا ومحمد أمين وخلف دخلنا، ومختار القرية بقي واقفاً ، لم يدخل إلى الداخل

- لقد أتى الأمير (قال ايفرا)، انه يظهر لك، أتستمع إليه أم لا؟.

- (نظرت إلى جهة بولوك أمين).

- أنت هنا؟كيف أتيت إلى باعذرة، لوحدك!

- لقد قلت لك سأكون في مقدمة الجيادان، يا مولاي!

- أين البقية؟

- فقدوا، هربوا، أخذتهم العاصفة، غسلهم المطر.

- إلى أين؟

- لا أدري، يا مولاي.

- من المفروض كنت تراهم.

- رأيتهم، فقط عندما هرب السجين، الجميع ركضوا وراءه، رجالي ورجال الارناووط اخذوا يلاحقونه.

- لماذا أنت لم تلاحقه؟

- أستاذ، حماري لم يرغب بذلك، إضافة إلى ذلك كان علي واجب أن أصل إلى باعذرة لأرتب لك مأوى.

- ذلك السجين الهارب، هل رأيته جيداً .

- كيف أراه جيداً ، حينماً وضعت جبيني على الأرض، رفعت رأسي لملاحقته ، كان السجين قد هرب.

- (كنت أود ذلك، لان محمد أمين قد أمن).

- هل سيأتي البقية بعدنا؟
- الله اعلم.
- علي بك هنا؟(سألت مختار القرية) .
- نعم انه في الداخل.
- قل له ، نريد مقابلته .

(عندماً ذهب صاحب القرية إلى غرفة الأمير، إيفراً أخذ خلف جانبا، وبصوت منخفض سأله عن محمد أمين:من أي عرب هذا؟

- من شيوخ العرب.
- من أين أتى؟
- رأيناه، في طريقنا، انه صديق أستاذي، سيكون معنا.
- كيف هو للكرم؟
- صاحب كرم، (في هذه الأثناء، انفتح الباب ودخل صاحب القرية إلينا، يتبعه شخص، شاب محترم رزين، ذو ملامح بهية، طويل القامة، مرتب الهيأة، مبتسما، مزين، لف رأسه بيشماغ احمر وبثمن غالي، واضعاً الخنجر في حزامه قبضتهاً منقوشة، جذاب المنظر، يلبس شالاً قجني (نوع من السراويل)، وسترة جميلة.
- مرحباً بكم (قال بعد مصافحتي ومحمد أمين ثم خلف، ولم يهتم ببولوك أمين).
- عذراً سيدي، لكوني أتيت إلى دارك (هذا جوابي له)لأنه حان المساء وأريد أن أسألك هل لديكم مأوى لنا، لنأخذ راحتناً هذه الليلة؟.

بك، نظر إلي من راسي إلى أسفل القدمين وقال : يجب أن لا نسأل الرحالة من أين قدمت والى أين تتجه، لكن مختار القرية قال لي، أنت أمير؟

- لست أميراً ، ولست عربياً ، ولست تركياً ، إني ألماني، من شعوب الغرب.

- أنت ألماني؟ لم أتعرف على هذه الملة، ولم أرى أبناءها، لكني أود التعرف عليهم.

- هل تأذن أن أقول لماذا؟

- لان احد الألمان، حرر رجالي من الموت، ثم أخذهم بمعيته إلى عرب الحديدية.

- نعم. الثلاثة من أهالي قرية باعذرة؟

- نعم .

- أسماءهم زلك وبالى وملف.

(علي بك رجع خطوة وقال: أتعرفهم؟

- نعم، اسمي كارابن نمزي، أنا ذلك الألماني الذي تحدث عنه رجالك.وهذا محمد أمين شيخ الحديدية، وذاك حاجي خلف عمر صديقي.

- صحيح، حقيقة، أم مزح؟شيء ليس في التفكير، يجب أن أقبلك !

(علي بك سحبني إليه وقبل وجنتي وكذلك مع محمد أمين وخلف ثم اخذ بيدي وقال:

- سيدي، قدمت في الوقت المناسب، عيداً الكبير، لا يجوز لأحد من الغرباء ان يشارك فيه لكن نمنحك فرصة أن تعيد معنا، ابقي هنا لحين إنتهاء العيد، وبعد العيد أبقى ما أردت من المدة.

- إذاً أراد شيخ محمد أمين، سأبقى، يجب أن تعلم، لدينا مهمة، فهو يود أن لا نتأخر

- أنا اعلم، لكن مع ذلك أتمنى أن تبقوا عندنا، داري داركم، طعامي طعامكم، انتم أخوتي ، عند دخولناً إلى الداخل، سمعت صوت ايفرا، بتكبر يقول لمختار القرية، أسمعت ! أميري كم له صيت؟(الغرفة التي دخلناهاً كانت مفروشة، أنا وشيخ محمد أمين جلسناً بجانب علي بك) ، كانت أيدياً متلامسة، مرة أخرى نظر إلي من الرأس إلى القدمين وقال:

- نعم، نعم أنت ذلك الرجل الذي هربت أعداء الحديديين.
- أتريد أن تخجلني؟
- وأنت ذلك الذي قتل الأسد لوحدك في ظلمات الليل، أريد أن أكون مثلك، أنت مسيحي؟
- نعم.
- المسيحيون أقوى من الشعوب الأخرى،
- هل الإيزدية مسيحيين؟
- الإيزدية ليسوا مسيحيون، اخذوا حسنات كل الأديان.
- كلامك صحيح (علي بك قبض حاجبيه معاً).
- يا أفندي، عند الجبال، لا يوجد دين صافي، لان شعباً قد افترق، عشيرتاً أصبحت أجزاء وأجزاء متقطعة، قلوباً محترقة، نحتاج إلى دين يزرع المحبة، ذلك الحب الذي يخرج من قلوبنا، لا تستطيع هنا أن تغرس جذورها، لان ما تحت الأرض مليء بالحقد والحسد، والثأر، والخيانة، والظلم، والاعتداء، أتمنى أن امتلك القوة كي ازرع المحبة، ليس باللسان وإنماً باليد والسيف، الموقع الذي ينبت فيه وردة، من المفترض أن تقلع الأدغال والأشواك قبل ذلك وتنظيفه، هل تعتقد بان النصائح تستطيع أن تثمر القرنفل من مرارة الأدغال، يستطيع البستاني أن يزين وردة (المرارة) لكن سمومهاً ستبقى في داخلها، أنا أقول لك، نصائح سيفي، يود صنع الخرفان من الذئاب إن يضع هذه النصائح في قلبه، يعيش بسلام، والذي كان يعارض، كنت اطحنه للمرة الأولى، أستطيع أن أضع سيفي في (غمده) وارجع إلى خيمتي، لأحضر نفسي.
- إذاً أتى الحب مرة، كما جاء في الكتاب المقدس، عين الحب لا تجف.
(تشع النور من عيون علي بك، احمرّت خدوده، صوته ينبع من أعماق قلبه، علي بك ليس جميلاً فقط بل بطلاً شجاعاً

ذو عقل نير، كان يدرك هموم ومشاكل وطنه، ليس بعيدا"انه سلح رجاله المقاتلين)

- تعتقد ، بان الضباط الذين يأتون إلى هنا من بعيد لا يستطيعون فعل شيء (سألته)

- وهو كذلك (علي بك قال من قلبه) نحن الإيزديين نعرف كتابكم المقدس، ونقول كلمة الله مطرقة تقطع الأحجار، لكن هل تستطيع بالمطرقة أن تقطع الماء، أتستطيع أن تقطع الضباب، أو تقطع وردا، أم تقتل حباً ، أسال الأمريكان الذين أتوا إلى هنا، تحدثوا كثيراً وقرأوا كثيراً ، إنهم أهدوا وباعوا الأشياء الجميلة، حتى إنهم في وسطنا عملوا كطباعي الكتب، والناس تبعوهم، استلموا هداياهم وتعمدوا ورجعوا إلى طريقتهم السابقة، أصبحوا لصوص، وقطاع طرق، جزارين، كتابكم المقدس انه مطبوع بلغتنا، لكن هنا لا يوجد أحد منا يجيد القراءة والكتابة، وأنت ترى أنه من الضروري على رجال الدين أن يعلمونا القراءة والكتابة، الآن صنعنا أقلاما من حديد، يجب أن تنظر إلينا بعين أكبر، أتقول السلام أفضل من الحرب، الفأس أفضل من العصا، ما أقصده هو أنتم، هل تستطيع أن تفكر بالسلام بلا سيف؟ يجب أن لا تكون هنا الأوحد، الذين يتحملون الظلم كي يستطيعوا أخيراً مع الفأس العمل بهم، الآن انظر إلى نفسك، مستقيماً انك تحمل السلاح بكثرة، وسلاحك أفضل من سلاحنا، لماذا تحمل هذه الأسلحة؟ أتحمل هذه الأسلحة عند الزيارات في ألمانيا.

- كلاً (يجب قول الحقيقة).

- أرأيت – أنتم تستطيعون الذهاب إلى الأديرة وتصلون لله بدون توجس، أيضاً تستطيعون الذهاب إلى المدارس بلا خوف وتصغون إلى الأساتذة.تستطيعون بلا خوف إحترام الوالدين وتعلمون أطفالكم ،إنكم تعيشون في جنات عدن بدون منافس، لقد تمزق رأس أفعاكم، يجب الانتظار، ذلك البهلوان، الذي

يخرج صوته بهدوء من الجبال، وهوالذي تحدث عنه كتابكم المقدس، أني أقول لك انه سيأتي، انه ليس روسياً ولا إنكليزياً ، ولا تركياً ، ولا فارسياً ، والذي يخادعناً ويكذب علينا، للمرة الأولى اعتقدناً بونابرت ملك فرنساً الكبير، لكن كي نعلم، يجب أن لا يعتمد الأسد على مساعدات طير ألباز، لأن كل واحد من وطن مختلف، هل استمعت مرة إلى هموم وآلام الإيزديين؟

- كناً نعيش بسعادة واتحاد في جبل شنكال، لكن مدت يد الظلم إلياً وتفرقنا، بداية فصل الربيع، فاض نهر دجلة، قطع الجسور، مواطنوناً كبار السن، ونساءنا، وأطفالنا، جميعهم بعثوا إلى نهر الموصل قتلوهم كالحيوانات المفترسة، والبقية اجبروهم على عبور النهر، الأكثرية اختنقوا في الماء والقلة عبروا، أهالي الموصل قد اصطفوا في ألاماكن المرتفعة ويكفرون بدينهم وكانوا يستهزؤون باللذين نجوا من الماء، وإنهم لم يكن يعلمون أين سيذهبون وعلى أية حجرة سيضعون رؤوسهم، لقد تفرقوا، قسم منهم ذهب إلى جبل مقلوب والبعض رحلوا إلى بوتان، وشيخان، والبعض وصلوا إلى ماء المزورية، وسوريا، والبعض وصلوا إلى حدود روسيا، وبقوا في هذه الأماكن، وعملوا وسكنوا، وإذاً رأيتهم الآن بيوتهم وملابسهم وحدائقهم وبساتينهم ستفرح بهم، لأنهم كادحون، ومثابرون، وفي نفس الوقت، الذين يجاورونهم قذرون، يودون بسطوة أموالنا، وعندما يحتاجون الاموال وتحت ذريعة ما يهاجموننا ويقتلوننا ويأخذون أموالناً وممتلكتناً غنائم.

بمناسبة عيدناً الكبير والمقدس هذا، نحتفل به ثلاثة أيام بالأفراح والدبكات، ومنذ فترة لم نحتفل بهذه المناسبة، لأننا نخاف من الأعداء، فكان يجب على الحجاج أن يضحوا بأرواحهم لحين الوصول إلى لالش، لكن منذ سنة يبدو إن

العدو في حالة السكوت، فعلينا أيضاً أن نزور الصالحين والأولياء.

- سيدي لقد أقدمت في الوقت المناسب، نحن لا نقبل بمشاركة الغرباء معنا في احتفالية هذا العيد، لكنك صاحب فضل علينا، لقد أنقذت حياة رجالنا الثلاثة، ونحن بكل تقدير واحترام نستقبلكم.

(إن هذا الخطاب أطيب ما سمعت، سوف تسنح لي الفرصة بكتابة بحث عن عادات وتقاليد هؤلاء عبدة إله الشر، الكثيرون تحدثوا لي بسوء عن هؤلاء لكني لمست غير ذلك، لذلك لابد من الوقوف على عاداتهم وتقاليدهم ومراسيمهم، هذه حسرة في قلبي، واكتب ما أرى بأم عيني.

- إني أشكرك جداً ، لهذه القراءة الرفيقة (أجبت عليه)-

كنت أود بكل سرور أن أكون ضيفك، لكن لدينا مهمة أمامنا، يجب أداءها، لذلك يجب أن نرحل بسرعة من باعذرة.

- اعلم، بمهمتكم !(علي بك رد على سؤالي) مع ذلك تستطيع أن تحتفل معنا.

- هل تعلم بمهمتنا؟

- نعم إنكم تودون إطلاق سراح (أماد الكندور) ابن الشيخ محمد أمين من سجن العمادية.

- من أين لك هذه المعلومات؟

- من رجالي الثلاثة الذين أنقذتهم من أبي احمد، لكن الآن لا تستطيعون إطلاق سراحه.

- لماذا لا نستطيع؟

- لان والي الموصل يخاف من هجوم الأكراد الشرقيين، لهذا حشد بعساكره في العمادية وسيكون التجمع كبيراً في قلعة العمادية.

- كم سيكون عددهم؟

- اثنان يوزباش مع مئتي عسكر مشاة قادمون من العمادية، ثلاثة يوزباشية مع ثلاثة مئة من المشاة قادمون من كركوك، ومجموعهم 500 عسكر من المشاة، والجميع يكونون تحت إمرة يوزباشاً واحد.

- كم تبعد العمادية من هنا؟

- العمادية تبعد قرابة 12 ساعة.

- هل الطريق صعب للسير.

- نعم، الطريق يُسلك بصعوبة، لن تصل بيوم واحد، يجب المبيت ليلاً في كالوك أو سبيندار، ثم في الصباح تبدأ بمشوار السير وتوجه صدرك إلى جبل كاره، والطريق يُسلك بصعوبة ثم تعبرون إلى السهل، هناك تلاحظون العمادية فوق الصخر.

- ما هو العسكر الآتي من الموصل؟

- قسم من دراكوشراً الثانية، والقسم الرابع من مشاة الفرقة العراقية، قسم يرسل الى عرب الرحالة، والقسم الآخر يرسل عبر جبالناً إلى العمادية.

- ما قوة العسكر الثاني؟

- ألف مقاتل، بإمرة (ميرئالا) مع (آلا) أمين واحد، ولي معرفة باميرئالا، انه قتل زوجة بير كمك وابنيه، اسمه عمراماد.

- أتعلم، أين سيجتمعون؟

- المقاتلون ضد عرب الرحالة، بالتأكيد سيختبؤن في آثار (كوبونجيك) وسمعت من رجالي في الاستخبارات،ان هذه العساكر بعد غد ستذهب من هناك والآخرون سيذهبون مشاة.

- اعتقد أن معلومات رجالك في الاستخبارات غير دقيقة.

- كيف؟

- حقاً تعتقد أن شكيب خليل باشا سيجلب هذا العدد الكبير من العساكر من ديار بكر للهجوم على الاكراد الشرقيين، أليس

العسكر الثاني لمشاة العراقية في السليمانية هم اقرب لهذه المهمة؟

- أتصدق!، انه سيرتكب هذا الخطأ يقدم ثلاثمائة من مقاتلي الاكراد ضد الأكراد الشرقيين. (علي بك فكر بإمعان وقال)

- قولك، قول العقلاء، لكن لا أفقه.

- عساكر (كوبونجيك) غير مجهزين بالمدافع؟

- لا.

- عندما يرسل الجيش إلى السهل، من الضروري أن يكون مجهزاً بالمدافع، لكن لا يحمل الجند ذلك السلاح لهذا أعتقد، أنهم لا يتجهون نحو الجبال.

- يبدو إن استخباراتناً قد أعطوا المعلومات معاكسة، الجيش في (كوبونجيك) سيتجه نحو العمادية، ليس إلى عرب الرحالة.

- بعد غد سيغادرالجيش هناك، ثم يأتي مباشرة للهجوم عليكم، هنا، في هذا العيد الكبير

- أفندي (علي بك لوحده قال كلام، لكن بتوجس وخوف).

- فكر جيداً ، لا يوجد عساكر لا من الشرق ولا من الغرب يهجمون على وادي لالش. فقط من الجنوب ومن جهة الشمال، إنهم اعدوا ألف جندي قرب الموصل، وهم بعيدون مسافة عشر ساعات، خمسة آلاف جندي قد حضروا أنفسهم في العمادية، هم على بعد 12 ساعة، سيطوقون من الجانبين ويحتلون وادي لالش

- أستاذي، يا ليتهاً كذلك.

- أتعتقد، أنه يكفي للهجوم خمسمائة مقاتل من أكراد (برواري، وبوتان، وتياري، وجال، وهكاري، وبري كاري، وشيروان،) والأكراد يستطيعون في ثلاثة أيام جمع 16 ألف مقاتل ويقطعون الطريق على عساكر تركيا.

- قولك حقيقة، هذه منفعة لنا

- الآن أقول لك شيئاً ، استمع إليه:
- سمعت على لسان والي الموصل (شكيب خليل باشا)، أنهم يريدون الهجوم عليكم في وادي لالش.
- (ماَ دار بيني وبين والي الموصل نقلته إلى علي بك، عندما أنهيت حديثي نهض (علي بك) وخطى بعض الخطوات ثم قال: إني أشكرك يا أفندي انك حذرتنا جميعاً لو كانوا قد هجموا علينا بألف وخمسة مئة مقاتل لأبادوا الإيزديين، أتمنى أن يأتوا الآن إن صمت شكيب خليل باشا لم يأتي من الفراغ انه أراد بالحيل أن يجمعنا في وادي لالش ثم إبادتنا لكنه نسي شيء، إن الفئران التي يود اصطيادها، هي كثيرة، تستطيع تمزيق القطط ، قبل كل شيء أن لا يعلم أحد بحديثنا، من فضلك، سأخرج قليلاً (علي بك خرج إلى الخارج).
- ما رأيك به يا أفندي (سألني شيخ محمد أمين)
- مثلك.
- حقاً إنهم عبدة اله الشر؟ (سألني خلف) ايزيدي عندي مثل ذئب ثائر بعيون النمور وأصابع مصاصي الدماء.
- تعتقد أن الايزدية منزلين من السماء؟(فضحكت على خلف)
- انتظر صبراً يا أستاذ، سمعت بان إبليس يظهر للمسلمين بمظهر لائق كي يخالفون عقيدتهم.
- في هذه اللحظات انفتح الباب، دخل رجل، كأنه ساحر، ملابسه تشع بياضاً شعره ابيض مثل الثلج لف منه جدائل(ذؤابة) متدلية على كتفيه، يناهز الثمانين من العمر، كان مفتوح العينيين، خفيف الجسم، عيناه متداخلتان، سهام قاتلة، وعندما دخل إلى الغرفة غلق الباب وراءه، كان نشيطاً كأنه شاب، ذو لحية سوداء نازلة على صدره، صورته معاكسة لشعر رأسه، عند دخوله قمنا جميعاً احتراماً له، فآحنى بجسمه وحيانا:

- طابت أوقاتكم بالسعادة ثم قال (أتجيدون الكرمانجية)
هذا ما قاله باللهجة الكرمانجية، عندما اشمأزت نفسي قال:
- زازائية.
- وهذا السؤال باللهجة الزازاكية، إن هاتين اللهجتين من اللهجات المهمة في اللغة الكردية وفي حينهاً لم أكن اجيدهما، لم أكن أفقه منه كلمة واحدة، لكن نتيجة الحديث والإشارات قلت له:نحن لم نفهم منك، من فضلك تكلم بالتركي وسمحت له بالجلوس في مكاني، احتراماً لكبر السن، وقد سألني: أنت ألماني؟
- نعم.
- إجازة منك أن اقبل وجنتيك؟.
- بكل حنين قبلني.
(لم يجلس في مكاني بل جلس في مكان علي بك)
- اسمي كمك (بدأ بالكلام) علي بك بعثني إليكم.
- كمك ! حدثني الأمير علي بك عنك قبل الآن.
- ماذا قال عني؟
- ستتألم إن قلناً لك.
- أنا سأتألم ! كمك لم يحس مرة بألم، جميع الهموم في قلوب الناس ذقتهاً في ساعة.
- إذن كيف أتألم؟
- علي بك قال: أتعرف ميرئالا(عمراماد).
- لم يظهر خيوط في حاجبيه، وبكل راحة أجابني.
- إني أعرفه، ولكن لحد الآن هو لا يعرفني، انه قتل زوجتي وأبنائي ، لماذا تسألون عنه؟
- عفوا (علي بك) بنفسه سيقول لك.
- أعلم ليس من الضروري لتقولوا لي، علي بك لا يخفي عني الأسرار، انه قال لي، ماذا قلت حول موضوع الأتراك، أتعتقد إنهم سيهجمون، ويعكرون جو العيد علينا؟

- نعم اعتقد ذلك.
- حسنا"سيرون من نحن، نحن أكثر تسلحاً من ذي قبل، عندما أخفيت عنه نفسي.
- أنت متزوج؟ولك أطفال؟
- لا.
- لم أستطيع إن أدرك، كيف أعيش، وكيف مت منذ زمن، لكن يجب أن أقول لك:
- أسمعت عن تلعفر؟ لديك معلومات عنها؟
- لقد قرأت عنها.
- أين؟
- في كتابناً المقدس، أتى اسم تلعفر ــــــــــــــــــــــــ.
- ذكر أسماء مدننا قبل آلاف السنين في كتبكم؟
- نعم، أنت بير الإيزديين، أنت مشهور، اقرأت الكتب المقدسة للمسيحية؟.
- لدي التوراة باللغة التركية، صفحات كتابكم أكثر من صفحات القرآن، لكن اسمعني لأقص لك قصتي.
- عندما هاجمناً الأتراك ، كان داري في قرية ميكران بجبل سنجار، أنا وزوجتي وأبنائي الاثنين، هربناً إلى تلعفر، لان تلعفر مدينة أحد معارفنا، وكان لي صديق هناك ذهبت إليه، رحب بي وأخفاني عنده، لكن الأتراك المتوحشين هاجموا تلعفر لقتل الإيزدية الذين هربوا إلى هناك، علموا بمكاني وقتل صديقي بسببي، وأخذوني مقيد الأيادي مع زوجتي وأبنائي إلى خارج المدينة، وهناك قد أشعلوا ناراً كبيراً ، الأتراك كانوا يلقون بالإيزديين في النار، كانت الدماء تسيل هناك، ملازم ضرب فمي بالخنجر، انبثق منه ناراً ، انظر إلي ما زال آثار الخنجر شاخصاً ، أولادي انزعجوا واتوا لنجدتي، ودافعوا عني، لكن الملازم قيدهم مثلي مع زوجتي، وأمام عيني وضعهم في النار، والثلاثة احترقوا، ثم سحب الخنجر من فمي

وضربني في صدري وسحبه إلى الأسفل، بلا شك وقعت، عندما تيقظت كان ليلاً ، رأيت نفسي مع القتلى، راس الخنجر لم يصل إلى قلبي، لكن كنت ملطخاً بدمي، في الصباح رأني شخص كلداني، رفعني وأخذني إلى قريته وأخفاني، مرت أسابيع لحين شفائي، شعر راسي في ساعات الموت أصبح أبيضاً مثل الثلج، شفيت، لكن روحي ماتت، لا قلب لي، بقي على أثره اسم ينتفض في صدري، انه (عمراماد) اسم ذلك الملازم الآن أصبح ميرئالا.

- أتريد أن تأخذ بثأرك؟(سألته).

- الثأر !ماً هو الثأر؟ الثأر عمل سيء، أريد أن أعاقب ذلك الميرئالا، ثم ليرحل جسمي إلى مكان تواجد روحي فيه.

- سترافقوننا في العيد؟

- لحد الآن لا ندري.

- ابقوا هنا، في هذا الوقت لا داعي لذهابكم وهناً اطمأنوا، لم يبقى تركي في طريقكم، الإيزديين يمتلكون القوة لحفظكم. (الآن هذا الرجل غير نبرات صوته وتكلم بصوت آخر، ورجعت ملامحه إلى سابق عهدها).

- بقائناً قد يؤثر على عيدكم حسب كلام الأمير علي بك (كان لي قصد بهذا الكلام، قلت لأحصل على معلومات أخرى عن دينهم)، بير كمك بإشارة الأيادي قال لا:

- أتصدق الأكاذيب، الذين يلفقون بالايزدية؟

- قارن بيننا وبينهم، سترى عندناً النظافة والقلوب الصافية، النظافة التي نناضل من اجلها، نظافة الجسم والروح، نظافة الحديث والتعليم، الماء النظيف، النار النظيف، لهذا نكن الاحترام والتقديس للماء ونتعمد فيه، نحترم النار، لأنه من سمات نظافة لله ويذكر كتابكم المقدس، الذي في النور لم يستطيع احد الدخول إليها، إنكم تتطهرون بالماء المقدس، ونحن نتطهر بالنار المبارك، نحن نمد أيدينا إلى النور ونبارك

به نياتنا، كما انتم تفعلون بالماء، انتم تعتقدون بـ (عيسى) وتقولون الآن مخفي بين الناس، قد غير نفسه، سيعود مرة أخرى، يفتح باب السماء، نعلم متى كان إنسانا"، لكن لا نعلم متى سيعود، اليقظة والصلاة يقي الشخص من المخاطر، لهذا نكن احتراما" لـ (ديك) لأنه رمز الوعي، إلا تفعلون ذلك؟ اعتقد إن المسيحية يجلبون ديك مصنوع ومطعم بالذهب إلى الأديرة والبيوت، إنكم تجلبون الديك الميت ونحن نجلب الديك الحي إلى مكان عبادتنا.

- قال بير كمك: نحن نعبد الله، ام أناس غير صالحين؟علماء الدين وأساتذتكم جيدين، لتكن لدينا أساتذة جيدين، كنت أتمنى لدينا شيوخ وبيرانية وقوالين متعلمين بين الإيزديين، أنا الوحيد الذي أستطيع القراءة والكتابة لذلك لا يستطيع احد التحدث معك مثلي.

- لماذا لا تقولون لقساوسة المسيحية، يعلمونكم القراءة والكتابة؟ (سألتهم):

- لأننا لا نود المشاركة في عدم اتحادكم، القساوسة وعلماء الدين المسيحية ليسوا متحدين، إذاً قلتم لنا يوماً نحن قد اتحدنا، حينئذ سنرحب بكم، إذاً القساوسة الأوربية أرسلوا لنا الأساتذة لنتعلم القراءة والكتابة، سيرتكبون خطأ ، قال عيسى في كتابكم، أنا طريق الحقيقة والحياة، إذاً لماذا سلكتم عدة طرق، يوجد طريق مستقيم واحد ! عندما هنا لم نتقاتل مع المسيح، قد ننتظر ذلك المحرر، ولا بد أن يأتي (في هذا الأثناء دخل علي بك الغرفة، أسعدت بذلك، لأنه لم يبقى شيء ويهملني، لم أستطع الإجابة على سؤاله أمام عدم الاتحاد الديني في وطني).

- قام بير كمك وقال: الله معك ويكون معي أيضاً سأذهب إلى الدرب الذي أردت الذهاب إليه سنلتقي مرة أخرى، ذهب بير كمك وأشار له علي بك وقال: بير كمك أعلم شخص عند

الايزدية لم يصل احد إليه، انه درس في إيران، في الهند، في القدس، في اسطنبول، انه دارس ورحال، مع ذلك انه ألف كتاب.

- ألف كتاباً ! (قلت بتعجب).

- نعم بيننا بير كمك الوحيد الذي يجيد القراءة والكتابة، انه يريد يصل الإيزدية مثل أوربا تعقلاً وفهماً وعليه لابد أن يقرأ كتبهم، كي نصل إلى مستواهم، لذلك ألف كتاب بلغتنا، واضعاً مئات الكلمات والأصوات فيها، هذا ما ينص عليه الكتاب.

- يبدو إنها ثمينة، أين هذا الكتاب.

- إنها في داري وفي غرفتي، بير كمك مبارك، الناس يكن له الاحترام والتقدير، الجميع يريدون خاطره، كافة أنحاء كردستان داره، لكن مأواه عندي.

- أتعتقد بأنه سيلاحظني بكتابه؟

- من اجل ذلك سأطلب منه.

- بلا شك.

- من اجل ذلك بدون تأخير سأطلب منه، أين ذهب؟

- الآن لا ترى بير كمك، انه ذهب لحراسة الناس، لكني سأريك كتابه، قبل ذلك يجب أن توعدني بالبقاء لدينا.

- قصدك أن نؤجل سفرتناً إلى العمادية؟

- نعم، كان معنا ثلاثة رجال من أهالي كلينية، إنهم من سلسلة بهدينان عائلة مزورية،الثلاثة كانوا شطار وذو حيوية، رجال جيدين ثقتي بهم عالية، لقد أرسلتهم إلى العمادية، للعمل الأستخباراتي على الأتراك وجمع المعلومات عن أماد الكندور، أرسلناهم من اجل خاطركم، لهذا عليكم الانتظار لحين مجيئهم.

(من كل قلوبناً نستقبل الطلب، مرة أخرى علي بك رحب بناً وقال): الآن تعالوا معي كي تتعرف زوجتي عليكم، تعجبت من هذا الطلب، بعدهاً علمت، إن نساء الايزدية لا تخبأ أنفسهن من الناس، ليسوا كالإسلام، الايزديون خفيفي الروح، مفتوحي

الوجنات، لم أرى هذه السمة في المجتمعات الشرقية الأخرى، الايزدية البسطاء لا يستطيعون التحدث مثل بير كمك وإعطاء رأيهم حول الدين.

الفلكلور الايزيدي مزيج من الفلكلور الكلداني، الإسلامي، المسيحي، لكن المسيحية لن تزدهر في أية مكان مثل الأيزديون، في الخارج بولك أمين عند حماره، الاثنان يأكلان، الناس قد اجتمعت حولهم، انه كان يتحدث عن بهلواناته، خلف أيضاً ذهب عنده، أنا وشيخ محمد أمين وعلي بك ذهبنا إلى غرفة النساء، كانت هناك امرأة شابة جميلة، حاملة طفلهاً على المتن، شعرهاً أسود عملت منهاً جدائل متدلية على كتفيها، تلمع فوق حاجبيهاً القطع الذهبية، عندما دخلناً قالت بدون تكبر، مرحباً بكم (علي بك ذكر لها أسماءناً ثم ذكر لناً اسمها)، وللأسف لم أتذكر اسمها، أخذت طفلهاً من متنهاً وقبلته، فرحت كثيراً ، طفل إيزيدي جميل، كان مثل أطفال الترك سميناً ولم يكن خاملاً، سألني علي بك، هل نتناول الأكل هنا، أم في غرفتي، قلت له هنا، لعبت بالطفل هو أيضاً كان يلعب بلحيتي، وكان فرحاً بي، وبعد تناول الأكل، أخذني علي بك ليدلني على غرفتي، عند صعودناً رأيت كتاباً على المنضدة، قبل أن أسأله قال لي علي بك انه كتاب بير كمك، تناولته ونظرت إليه، علي بك خرج وتركني لوحدي.

جلست في الديوان (الجلسة) ونظرت إلى الكتاب، الغالي الثمن، الكتاب كان يحتوي على مجموعة من الكلمات العربية والكردية، عندهاً علمت، سأتعلم اللغة الكردية بسهولة، قررت كلماً أكون هنا، لن اترك هذه الفرصة وبهذا الكتاب اعلم نفسي اللغة الكردية، عند المساء الفتيات يجلبن الماء من العيون، سمعت أغنية بصوت شاب، يقول:

الأغنية.....

لم اسمع مثل هذا الصوت في الشرق.استمعت إليه، للأسف كان يعيد نفس المقطع ثم قمت كي اخرج، في الخارج كان السير مزدحم، الإيزديين كانوا قادمون باستمرار، تنصب خيمة وراء خيمة.من خلال ذلك يدرك المرء بان عيداً كبيراً سيحل، عندما ذهبت إلى باب الدار، رأيت مجموعة من الناس مجتمعيين حول بولك أمين، كان يكرر الحديث بصوت عالي حول نفسه، متى فقد انفه، لقد سمعت قصته للمرة الرابعة، لكن سبحان الله لحد الآن لم تنتهي قصته حول انفه، لا يستطيع أن يختار الوقت المناسب للحديث عنه، هذه المرة لم يبقى شيئاً وينتهي اثر قصته، لكن حماره قد نهق بصوت عالي ومزعج، تجمع الناس حوله، ليعلموا مصدر هذا الصوت المزعج، لكن ايفرا، بقي كما هو، وقال: ماذا حدث، انه صوت حماري (إذاً ستمر بالنهيق، لن ينم أحدا).

- أينهق في الليل؟ (سأل احدهم).
- كل ليلة، كل دقيقتين مرة (أجابه محمد أمين).
- سأحكي لكم رواية (قال احدهم).
- تمهل (ايفراً قطع حديثه) بأية لغة تتكلم؟
- بلغتناً الكرمانجية.
- لم أفقه من هذه اللغة لماً لا تتكلم بالتركية؟
- كيف أقص لك قصة كردية بالتركية ! ستفقد حلاوتهاً !
- حاول ذلك.
- سأحاول.
- (في هذه الأثناء اخترق شخص هذه الجموع وتقدم نحوي وقال):
- يا أفندي.حقيقة أم كذب، هاً أنت هنا، الآن قد سمعت، بأنك هنا، كنت في الجبل، لقد فرحت كثيرا"، من فضلك، أريد أن اسلم عليك، هذا كان زلك اخذ يقبل يدي، عند الايزدية تقبيل اليد هي علامة الاحترام.

- أين بالي وملف (سألته)؟
- بير كمك أصبح في طريقهم، إنهم ذهبوا معه جنوباً إلى الموصل، يجب أن أوصل خبر إلى علي بك.
- سأراك لاحقاً ؟
- أنا راحل،(قال زلك)
- هذا الخبر هل من سر فيه؟
- يجوز، لكن لك لا، تعال. (أدخلناً علي بك في غرفة زوجته، كل من يود الدخول إلى هذه الغرفة لا يمانع، خلف كان هناك يتناول الأكل).
- علي بك (قال زلك) كنت في الجبل مقابل بوزان، أريد أن أقول لك شيئا
-قل.
- من فضلك، هل ندع الجميع يستمعون؟
- لا مانع لدي ، ليستمع الجميع.
- كناً نعتقد، بان والي الموصل قد جهز خمسمائة مقاتل إلى العمادية ضد الأكراد، لكن لا حقيقة لها، مائتي مقاتل قد أقدموا من ديار بكر ماراً عبر اورمية، والآن قد اختبئوا في غابات (به رى كاره).
- من قال لك هذا؟
- حطاب من أهل موكانيش، كان في طريقي وقال لي، انه كان متوجهاً جنوباً إلى كاراكويونلى، أشجاره عن طريق الماء وصلوا إلى هناك، أما مائتي مقاتل الذين أقدموا من كركوك، لن يذهبوا إلى العمادية بل إنهم متجهين نحو اربيل وكرده شين عبر التون كوبري، الآن أمام ديرمارمتي بجانب الخازر.
- من قال لك هذا؟
- كردي زيباري، أقدم من خوسر، ليصل إلى دهوك ماراً من بوزان.

- الزيبارية أشخاص أمناء، لا يكذبون، إنهم لا يحبون الأتراك، إني اصدق من الرجلين.
- أتعلم أين يقع وادي إيدز الذي بجانب كومل مقابل كلينية؟
- قليلون من الناس يعلمون بموقعه، لكنني دائما" هناك.
- يستطيع المرء أن يرسل حيواناته وعفشه وأغنامه إلى هناك والاختباء بها.
- الذي يود أن يعلم بموقع الوادي، يستطيع ذلك.
- كم يستغرق من الوقت كي تصل النساء والأطفال والماشية والحيوانات من هنا إلى هناك.
- نصف يوم، نذهب عبر شيخ عادي خلف قبب المباركة صعوداً ، الترك لا يعلمون ماذا نفعل.
- أنت أفضل شخص هنا له خبرة في الأماكن، حول هذا الموضوع سأتكلم معك، إلى ذلك الحين يجب السكوت، لا تعلم أحداً أردت أن تكون في خدمة هذا الأفندي، لكن سأبعثك إلى مكان آخر.
- من فضلك، أريد أن أرسل ابني يوسف لخدمته؟
- نعم، أرسله، انه يجيد اللغة الكردية بطلاقة (سألته).
- يوسف يجيد الكردية والزازائية.
- حسنا"، أرسله، سأرحب به.
(ذهب زلك، تم إحضار مأدبة كبرى، كرم الايزدية ليس لها حدود، حضروا حوالي عشرون شخصاً على المائدة احتراماً لي ولشيخ محمد أمين، ثم حفل موسيقى، متكون من ثلاثة أشخاص يعزفون على المزمار والتنبور والكمانجة والآلات الموسيقية الثلاثة مقابل مزمارناً وكماننناً وكيتارنا، حقا" كانت موسيقى تفرح به القلب، وأخيراً علمت إن الذوق الموسيقي لدى الايزدية أكثر من المسلمين، كناً على مأدبة الأكل عندما قدم يوسف ابن زلك، أخذته معي إلى الداخل كي يساعدني في تفسير كتاب بير كمك، بالرغم من المعلومات البسيطة لدى هذا

الشاب لكنني استفدت منه، بير كمك اعلم شخص عند الايزدية، هو لوحده يستطيع أن يكتب معلومات حول الايزدية.

أماً الآخرين الجميع يحاولون التعلم، بعد فترة بقاء يوسف عندي، ذهب وبقيت لوحدي كي أستريح، استيقظت في الصباح الباكر نتيجة مرور الناس، الناس كانوا قادمون باستمرار، البعض كانوا يبقون في باعذرة، والبعض الآخر كانوا يأخذون قسطا" من الراحة ومن ثم يبدأون بالسير مجددا" نحو معبد لالش، الشخص الأول الذي رأيته هو محمد أمين.

- أرأيت أسفل هذا الدار (سألني محمد أمين).

- لحد الآن لم أره.

- حسنا"، انظر إليه من الأعلى.

(صعدت إلى السطح ونظرت إليه من الأعلى، أرى حوالي مائتي شخص (مجتمعين) حول حمار بولوك أمين، علي بك أيضا" أتى وسلم علي، انه أيضا" ضحك على هذا المنظر.

- أفندي نحن مدينين لك بسهرة جميلة، أنت عالم كبير، إذاً افتحوا الحجر عن ذيل الحمار ينهق مرة أخرى (حمار ايفراً – بولوك أمين من كثرة نهقه، أهل باعذرة لم يستطيعوا النوم وكان صوته مصدر إزعاجهم، لهذا رأوا له دواءً، وذلك بربط حجرة على ذيله، ليكف عن نهيقه.

- مؤكد إن هذا الحمار يخاف من الليل، لهذا ينهق في الليل، وبحيلة ربط الحجر بذيله، كي لا ينهق، لأنه عندما ينهق الحمار يرفع ذيله، إذاً لم يستطيع أن يرفع ذيله، لا يستطيع النهيق.

- أتريدون أن تكونوا بمعيتي لتناول الفطور؟ (قال علي بك)

- (أنزلناً إلى الأسفل، دخلناً إلى غرفة النساء، رأيت خلف ويوسف مترجمي الكردي وايفراً هناك بدون ذوق، صاحبة الدار استقبلتناً بكل سرور وابتهاج)

- صباح الخير (سلمت عليها).

- صباح الخير (حياتك بخير).
- كيف صحتك؟
- جيدة.
- كيف أنت؟
- بخير والحمد الله.
- أتتكلم الكرمانجية (علي بك قال بتعجب).
- اعلم ما قرأت في كتاب بير كمك يوم أمس (ضحكت) هذه القلة تكفي.
- تفضلوا بالجلوس هنا .
(للمرة الأولى تناولناً العسل والقهوة، ثم لحم خرفان المشوي متقطع إلى قطع صغيرة كناً نأكله كالخبز. كذلك جلبوا لناً (اربا) نوع من البيرة الخفيفة، يقال عنهاً بالتركية ماء الشعير، نحن جميعا" أكلناً وشربنا.فقط بولوك أمين قد عزل نفسه جانباً وبسكوت، علي بك مع الايزدية كان مثل الأب والابن وكان هذا شيء جديد بالنسبة لي، بعد ساعة، أنا ويوسف، ركبناً جيّادناً وخرجنا، محمد أمين بقى في الدار.
- انه لم يظهر نفسه، كي لا يتعرف عليه احد.
- هل لك معرفة بموقع وادي إيدز؟ (سألت يوسف).
- نعم.
- كم يستغرق من الوقت إلى هناك؟
- ساعتين.
- أريد أن أرى ذلك المكان، أترشدني إليه؟
- نعم أفندي أمرك، هل ترغب في الذهاب مباشرة؟
- نعم (قبل ذلك أي طريق كنت تسلكه).
- ذهبت مباشرة، هذا الطريق هو الأقصر، لكن غير جيد المسلك!
- سنسلكهاً نحن أيضاً !

- يستطيع فرسك السير في هذا الطريق، كما أراه انه بلا منافس، لحد الآن لم أرى مثله، لكن لا يعرف الطريق.

- سأجربه اليوم.

(تركناً باعذرة وراء ظهورنا، الطريق صعب لقلة سالكيه، صعوده تحوي شقوق جبلية وقمم ووديان عميقة، لكن فرسي كان يقظاً لم يوقع نفسه في المناطق العالية المغطاة بالأشجار الكثيفة، أصبح الآن غابات كثيفة ومظلمة في آخر الطريق، كان السير فيها صعب جداً ، كناً نترجل من خيولناً ، كناً نلاحظ مكان أقدامناً بصعوبة، فرس يوسف كان قد تعود على مثل هذه الأماكن، انه كان يمشي بسرعة، يتجنب الصعوبات، يعرف الطريق، أما فرسي فقد كانت طبيعياً وذي قدرة، كنت مطمئناً إنها ستتحمل مثل هذه الأماكن الصعبة، على أية حال بان التعب على فرسيناً ، بعد مرور ساعتين من السير، عندهاً وصلنا إلى مكان معقد ومظلم، قال يوسف: هذا هو وادي إيدز).

- كيف نستطيع النزول إليه؟

- لأجل ذلك هنالك مسلك واحد.

- كان هنالك مرور على المسلك؟

- لا، لا فرق بين هذا المسلك والمسالك الأخرى، تعالى.

(يوسف بدء بالسير وتبعته، أصبحناً في وسط غابة من الحشائش العالية والأشجار الكثيفة التي غطت الوادي صعب السير فيها، الغريب يصعب عليه معرفة وجود وادي هنا، من كثرة الأشجار المحاطة بهاً غطتهاً بالظلام ، بعدهاً ، وصلنا إلى مكان آخر مرة أخرى ترجل يوسف من فرسه، وأشار بيده اليمنى وقال:

- إن هذا الطريق يؤدي إلى معبد لالش، فقط الايزدية يعلمون بهذا الطريق، الطريق على اليد اليسرى تقودك إلى الوادي، يوسف شق طريقه من خلال الأدغال والغابات، من

بعدهاً رأيت وادي إيدز، الحياطين عالية ومعقدة، وصلوا إلى السماء منزلاً إلى الأسفل، كان هناك مسلك واحد للمرور، ربطناً لجام الخيول حول عنقهم ومشيناً وراءهم، عند وصولناً إلى الأسفل استطعت من رؤية الوادي بأكمله، وادي واسع وكبير تكفي لإيواء الآلاف من البشر، كان مليئاً بالكهوف العالية والمفتوحة، كهف بجانب الأخر، اعتقدت بأنه كان يستعمله الإنسان للسكن من قبل، وفي جوانب الوادي كان الحشيش الأخضر للمرعى، الماء ينحدر من صخر يكفي لارواء قطعان ظامئة مكون من الآلاف، الجيادان بدأتاً ترعى هنالك بينماً كناً جالسين على هذا الحشيش وتمددناً وبدءناً بالحديث.

- انه أفضل مكان يختبأً فيه المرء، لا يعثر عليه احد، لايوجد أفضل من هذا المكان.

- أفندي ،لأجل هذا القصد، قبل الآن استغلوا هذا المكان، في الفرمان الأخير الآلاف من الايزدية هربوا واختبأوا هنا، لذلك لا يجوز لناً إدلاء الغرباء عليها، ليس بعيداً آن نحتاج إليه مرة أخرى.

- اليوم أو غدا" سيهجم عليكم الحاقدون الأكثر جهالة من الأتراك المسلمين.

- اعلم ذلك، هجوم هذه المرة ليس من اجل الدين، وإنماً من اجل اخذ ثروتناً الحيوانية والمالية كغنائم لهم، شكيب خليل باشا أعد خمسة آلاف مقاتل من اجل هجوم مفاجئ علينا، لكن ستخيب آماله، منذ عدة سنوات لم نحتفل بهذا العيد، لأجله اعد أناس كثيرين من الايزدية إنهم يحجون هذه السنة في هذا العيد، الآلاف منهم مستعدون لمقاتلة الترك.

- الجميع مسلحين؟

- الجميع مسلحين وسترى بعينك، كم رصاصة ستطلق من البنادق، لا نستطيع بسنة كاملة من توفير ما يطلقون خلال ثلاثة أيام ابتهاجاً بالفرح.

- لماذا يتم مهاجمتكم؟

- إنهم يقولون من اجل ديننا، أفندي، لكن قلت لك سابقاً لأسباب أخرى، الوالي لا يهمه مسالة الدين، لكن همه أن يصبح ثرياً ، مرة يركض وراء العرب، وأخرى وراء الأكراد، مرة مع الكلدان، ومع الإيزديين، أتعتقد بان ديناً يحمل تلك الخطاياً من اجله يتم إبادتنا؟

(هنأ أريد أن اعزم هذا الشاب، كي احصل منه معلومات، لم يروي لي بير كمك)

- لحد الآن لا امتلك معلومات عن دينكم (أجبت عليه)

-الم تسمع شيئاً عن ديننا؟

- قليل جداً ، لم اعتقد بهذا القليل:

- نعم أفندي، الناس يتهمون الأيزديون بأشياء لا أساس لها من الصحة ، الم تسمع شيئاً من والدي أم من بير كمك أو ملف؟

- لا، لم اسمع شيء منهم، لكن انتظر منك أن تزودني بمعلومات.

- لا نكشف حقائق ديناً للغرباء ، لأنهم لم ولن يفهموا معنى التوحيد من للإيزديين.

-أتحسبني من الغرباء؟

- لا، لقد أنقذت والدي وزملائه من الموت، كذلك أعلمتناً بهجوم تركي علينا، وهذا فضل آخر كما سمعت من علي بك، سأزودك بالمعلومات الدينية، لكن لا امتلك كل المعلومات عن ديننا.

- لديكم أسرار، لا يجوز لأحد أن يعلمها؟

- لا، لكن في كل دار هناك أسرار يجب أن يعلم بهاً الأبوين فقط !الشيخ والبير والقوال هم آبائنا.

- هل من إجازة كي اسأل سؤالاً .

- اسأل، لكن أتمنى أن لا تلفظ كلمة واحدة.

- اعلم ما تقول، لكن أريد أن تزودني بمعلومات عن هذا الموضوع، أتجيب على أسئلتي، إن لم اقل هذه الكلمة؟

- نعم - ما اعلم، سأقول لك.

- عداً الله الأكبر، هل لديكم اله آخر؟ (بدأت بالأسئلة).

- لا، لا نمتلك الاهاً آخر، ما تقصده هو مخلوق، يأتي مرتبته بعد الله الأكبر، هو رئيس الملائكة ، الله قد خلقه، الله هو الإله.

- أتعتقد، إن الله هو القوة والرحمن والمحبة؟

- نعم.

- حسنا"، إن الله يغفر الإنسان والملائكة عن ذنوبهم، نحن مع هذا الاعتقاد ولأجله نحن نصاحب الفكرة.

- أتحترمونه؟أتقدسونه؟

- لا ،لان الله قد خلقه مثلناً ،لكن لا نتحدث عنه بسوء ،ونتقي من الكلمات التي تقال عنه .

- ما معنى، جلبكم الديوك (جمع ديك) إلى المعبد؟

- ديك سمة اليقظة من النوم والانتباه، ألم يقل لكم عيسى، إن مريم في انتظار خطيبها؟

- نعم.

- خمسة منهم نائمون، لا يجوز أن يذهبوا إلى السماء، إنهم لم يستيقظوا، أتعلم بحكاية الشاب الذي كذب على أساتذته؟

- نعم.

- يصيح الديك كل ساعة، يذكرناً وينبهنا، لهذا نجلبه إلى المعبد، كي يلفت أنظارناً باستمرار ويوقظنا، لكي يعود خطيبها.

- أتعتقدون بماً جاء في الكتاب المقدس للمسيحية؟

- نعتقد بذلك، بالرغم من عدم علمي التام بماً جاء فيه؟

- إلا تمتلكون كتاباً مقدساً ، مدون فيه جميع المعلومات الدينية؟

- لدينا كتاب محفوظ في بعشيقة، لكني سمعت بأنهاً فقدت.
- ما هي آياتكم المقدسة؟
- هذه المعلومات ستعلمهاً في معبد لالش.
- أتستطيع أن تقول لي من هو شيخادي؟ الذي نفي إلى هنا؟
- انه شخص مكرم عند الله.
- أتعبدونه؟
- لا، نكن له الاحترام، عندما نزور قبره، نعبد الله.
- ما أنواع العلماء والرجال الصالحين لديكم؟
- في المقدمة يأتي البير، معنى الكلمة الرجل الكبير،
- ما لون ملابس البير؟
- يلبس ما يعجبه، انه شخص متدين ويؤمن بالله، الله قد منح بعضهم الكرامة كي يستطيع أن يشفي بعض أمراض الجسم والروح.
- يوجد الكثير من البير؟
- لحد الآن اعرف ثلاث منهم، أكبرهم بير كمك.
- استمر.
- بعد البيرانية تأتي مرتبة الشيوخ، من المفروض أن يتعلموا العربية، كي يجيدوا تراويحناً الدينية.
- تراويحكم الدينية باللغة العربية؟
- نعم.
- لماذا لا تراوحون بالكردية؟
- أنا لا ادري ، (الشيخ يختار حراس القبر المبارك، إنهم يشعلون النار ويقدمون الأكل للحجاج).
- هل يلبسون ملابس خاصة؟
- إنهم يلبسون الملابس البيضاء، من اجل عملهم هذا يلبسون حزام باللون الأحمر والأصفر حول ظهرهم.بعد الشيوخ يأتي المرشدون، نقول لهم (قوال) إنهم يعزفون على

الآلات الموسيقية المقدسة، ويتجولون من مكان إلى الآخر، كي يعلمون الايزدية بدينهم المقدس.

- ما الآلات المباركة لديكم؟

- تمبور، الدف، المزمار، هؤلاء القوالين ينشدون الشعر الديني في المناسبات الدينية.

- ماذا يلبسون هؤلاء؟

- إنهم يستطيعون لبس كافة الملابس بألوانهاً ولكن الأكثرية منهم يلبسون البيضاء، عمامة رأسه يجب أن تكون سوداء اللون كي نميزهم عن الشيوخ.

- بعد القوالين تأتي مرتبة الفقير، إنهم سادني المقابر المباركة والمزارات المباركة، دائماً يلبسون الملابس الداكنة، يلفون حول عمامتهم منديل احمر.

- من يختار الشيوخ والبيرانية والقوالين والفقراء؟

- لا يختارهم أحد ، وإنماً هي عملية وراثية، إذاً توفي شيخ أو بير، ولم يكن له ذرية تحل محله الأخت الأكبر له (في الحقيقة انه شيء غريب، بالأخص في الشرق)

- من هم اكبر رجال الدين؟

- شيخ باعذرة، لحين الآن لم تراه، انه الآن في معبد لالش، كي يهيئ أمور العيد، هل لديك سؤال أخر؟

- لدي الكثير من الأسئلة، هل يختن أطفالكم؟

- نحن نعمدهم ونختنهم أيضاً .

- هل هناك أكل غير نظيف، لا يجوز تناولها؟

- لا نأكل لحم الخنزير، لا نستعمل اللون الأزرق، لأنه لون السماء ولا يجوز استعماله على الأرض.

- لديكم قبلة؟

- نعم، عندما نصلي، نتوجه إلى شروق الشمس، كذلك نوجه وجه أمواتناً إلى شروق الشمس.

- ما هي مصادر معلوماتكم؟

- شيخادي المبارك ، هو الذي أتاناً بهذه المعلومات،

(كان بودي أن اسأله سؤال آخر، لكن هناك صدى صوت من الفوق، عندما نظرت إليه، رأيت انه زلك من الفوق وصل إلينا، لم تمر فترة ووقف بجانبنا) لم يبقى شيء ، كدت أرمي العيارات النارية (هذا كان سلامه)

- أترميننا؟لماذا؟ (سألته).

- عندما نظرت إليكم من فوق، قلت مع نفسي ، إنهم غرباء، لا يجوز للغرباء أن يأتون إلى هنا، لكن بعد ذلك عرفتكم، جئت كي اعرف إن الوادي مكمل، لا نقص فيه.

- للهروب؟

- الهروب (كرر) نحن لا نهرب، دائما" أقول لـ (بك)، كيف استطعت بالحيل سحب أعداء الشمر إلى وادي درجة، ثم ألقيت القبض عليهم وأسرتهم، نحن نفعل مثلك أيضا.

- أتريدون سحب الترك إلى هذا الوادي؟

- لا، نريد سحبهم إلى وادي لالش، لكن الحجاج الغير مسلحين والنساء والأطفال سنجلبهم إلى هنا، هذا ما أمر به علي بك والشيخ قد أيده على ذلك، زلك رأى ماء العين يجري من الأعلى ثم قال لنا:

- هل تريدون العودة معي (مرة أخرى توجهناً بجيّادناً إلى الأعلى ثم ركبناً وتوجهناً إلى باعذرة، عند وصولناً رأيت علي بك حزينا).

- بعد رحيلك، وصلتناً أخبار مهمة (قال علي بك) الترك قادمون من ديار بكر الآن هم في جانب نهر كومل، والذين أتوا من كركوك الآن أسفل جبل مقلوب شيخان وسيصلون إلى كومل أيضا.

- يبدوا إن رجالك الاستخباراتية رجعوا من العمادية؟

- إنهم لم يرجعوا بعد من الضروري أن يراقبوا الجيش التركي هناك، لكنهم بينوا لناً بأنه هنالك محاولة هجوم تركي واحد علينا.

- الناس يدركون ذلك؟

- لا، إذاً علم الناس، سيعلم عدونا، إنناً مهيئين للمعركة، أقول لك يا أفندي، أما أن أقاتل حتى الموت، وأما أن أعطي درساً لشكيب خليل باشا لن ينساه.

- إلى نهاية المعركة سأكون معك.

- أشكرك، لكن لا يجوز أن تقاتل!

- لماذا؟

- أنت ضيفي، امن الله حياتك عندي.

- الله يستطيع أن يقي حياتي، كيف يجوز أن أكون ضيفك، وان أبقيك وحدك في المعركة بعدهاً سيقول شعبك بان ضيفك جبان.

- إنهم لا يقولون ذلك، الم تكن ضيفاً على والي الموصل أيضاً ، إلا تمتلك في حقيبتك الإجازات والرسائل منه.

- الآن أتريد مقاتلته؟ أليس من الضروري أن تضع في المقدمة، ابن صديقك، كي تحرره؟أم انك لا تستطيع أن تنفعني، حتى لا تقتل عدوي؟

- تقول الحقيقة، ما قلته هو الحقيقة، لا أريد القتال، أريد أن افعل شيئا"، لا تنزف دماً .

- هذا المهم اتركهاً لي يا أفندي.

- ماذا ستفعل ،كي لا تنزف دماً ؟

- أتعلم بوصول ثلاثة آلاف حاج إلى معبد لالش، لحين بدء العيد سيصل عددهم إلى ستة آلاف ويجوز أكثر.

- النساء والرجال والأطفال.

- نعم سنرسلهم إلى وادي إيدز، فقط نبقي الرجال، الجيوش التركية الآتية من كركوك ومن ديار بكر سيندمجون على

طريق الكلينية، العساكر الآتية من الموصل سيأتون إلى هنا أما عبر الجراحية أو عين سفني، يريدون تطويقنا في وادي المقدس، نحن نخبئ أنفسنا وننتظرهم خلف القبب وفي الداخل وبجوار الوادي، عند دخولهم الوادي إن لم يستسلموا لن نبقي منهم أحداً ، ، وإذاً استسلموا، سأرسل مبعوثاً إلى باشا الموصل واضعاً الشروط أمامه، مقابل إطلاق سراح مقاتليه، سيخيب ظنه أمام سلطان استنبول.

- شكيب خليل باشا سيكذب على سلطان استنبول ولا يقول له الحقيقة.

- لا ينفعه، لن يستطيع مخادعة السلطان، لأني أرسلت وفداً إليه إلى اسطنبول وسيصل قبله، (يجب أن اعترف بان علي بك ليس رجل شهم فقط وإنماً خبير ذو بُعد استراتيجي).

- كيف يستفاد مني (سألته).

- أنت تبقى مع هؤلاء الذين يحافظون على النساء والأطفال.

- أتحملون معكم أمتعتكم؟

- ما يستطيعون حمله، اليوم سأقول لأهالي باعذرة، إحملوا ما لديكم إلى وادي إيدز، لكن يجب أن تكون محاولتي بأتم السرية.

- لكن الشيخ محمد أمين؟

- شيخ محمد أمين سيكون معك، الآن لا تستطيعون الذهاب إلى العمادية، لان الطريق غير مؤمن.

- الترك سيحترمون إجازات ورسائل والي الموصل؟

- نعم، كيف لا يحترمون، لكن العساكر من أهل كركوك سيعرفون محمد أمين بسهولة (عند الحديث حضر رجلين وعرفتهم أنهم بالي والآخر ملف، عندما رأوني، فرحوا كثيراً وقبلوا يدي).

- أين بير؟ (سألهم علي بك).

- انه على مزار في كويونجيك، لقد أرسلنا، لنخبرك بأنه في اليوم الثاني للعيد سيتم مهاجمتنا.

- أيعلم بير كمك ما هي ذريعة الوالي للهجوم علينا؟

- ذريعته مقتل تركي بيد إيزديين في مالتا، شكيب خليل باشا يريد القبض على الرجلين المذنبين في معبد لالش.

- لكن الحقيقة ثلاثة من الأتراك قتلوا اثنان من الايزدية، أترى يا أفندي، كيف هم الترك؟

إنهم يضربون أناسي، كي يهجمون علينا، إنشاء الله ما يودون تحقيقه، يتحقق على رؤوسهم.

(أناً ومترجمي يوسف تركناً تلك الغرفة، وذهبناً إلى غرفتي، كي أتسلى بكتاب بير كمك واستمر في تمارين اللغة، في هذا الأثناء كان محمد أمين ساكتاً ويدخن بغليونه، متعجباً لماذا اهتم بهذا الكتاب، كي اقرأ وأتعلم اللغة، في ذلك اليوم في الليل وبعدهاً بيوم أيضاً ، في هذه الأثناء رأيت أهالي باعذرة يرحلون بالخفاء، وملاً الغرفة التي نحن بداخلهاً بالأسلحة، أذكركم بان حمار بولوك أمين لا يستطيع بعد آن ينهق بصوت عالي، لأنه عند الليل صاحبه علق حجر على ذيله، الحجاج يأتون ويعبرون، والبعض منهم وحيدين، والبعض الآخر مع عوائلهم، مرات يأتون مجاميع البعض منهم فقراء الحال، قد أتوا على صدقات الآخرين، وترى البعض قدم ماعزاً أو خروفاً أمامه، ويأتون إلى هنا، الأثرياء يقدمون ثوراً أو ثورين قرباناً ، ورأيت إن البعض قدم قطيعاً كاملاً قرباناً ، هذه الخيرات والقرابين تقدم إلى المقابر المقدسة من الناس الأثرياء، لأجل إشباع الفقراء، كي لا يحسوا بالنقص، لهذا كانت تأتي القوافل وتعبر، لم اعد أفكر بالارناؤوط ولا الباشبزوخت الذين رافقوني من الموصل، لم أعلم ما مصيرهم وأين بقوا، اليوم الثالث كان أول يوم للعيد، أنا ومترجمي بقيناً في قراءة كتاب بير كمك.

لقد أشرقت الشمس، كنت مندمجاً مع صفحات الكتاب، بحيث لم أحس كيف دخل بولوك أمين.

- دخل الغرفة وقال: الأمير، قلت له ماذا يوجد؟قال:إلى الخارج، لاحظت أن بولوك أمين قد حضر نفسه ومهيئاً للذهاب، بسرعة أعطيت الكتاب ليوسف ورميت نفسي، نسيت، كان من المفروض أن أستحم في يوم العيد، والبس الملابس الجديدة، إذاً أردت أن اذهب إلى القبر المقدس، حملت ملابسي ونزلت، خرجت من القرية، رأيت إن نهر باعذرة ملء بالناس، الجميع يستحمون، يجب الابتعاد عنهم قليلاً ، كي أرى مكاناً مناسباً واستحم أيضاً ، رأيت مكاناً واستحممت وبدلت ثيابي، المرء يستطيع أن يعمل هكذا في زياراته إلى بلاد الشرق، تكون لدي أفقاً بالأحداث، عندما هيأت نفسي لأترك المكان ،رأيت تحرك الأحراش بمحاذاة النهر، اعتقدت بأنه حيوان، أو شخصاً قد خباً نفسه فيه، نحن في معركة، يجب أن ألاحظه، ما هذا؟ خوفاً من الأعداء، قربت نفسي إلى المكان كأنني لا ادري بشيء، وفجأةً رميت نفسي إلى داخل الأحراش والأدغال التي تتحرك، رأيت رجلاً مختبئاً فيه، انه مازال شاباً ، يظهر كمقاتل، لم يكن حاملاً إلا خنجر، يظهر علامة جرح قديم على وجهه اليمنى، نهض على استقامته، أراد الهرب، لكني مسكت بيده وضغطت عليها، ماذا تفعل هنا؟ (سألته).

- لا شيء.

- من أنت؟

- أنا - أنا - ايزيدي (قال بتردد).

- من أين أتيت؟

- اسمي لاسا، أنا داسني.

- (إني قد سمعت إن الداسنية هم عشيرة أصيلة من الايزدية، لكن لا يظهر على هذا الشخص علامات الايزدية).

- سألتك ماذا تفعل هنا؟

- أردت أن استحم.
- أين ملابسك؟
- ليس لدي ملابس.
- وكنت هنا قبلي، كان عليك بعدم الاختباء، أين نمت يوم أمس؟
- عندَ - عند - عند - لا اعرف اسمه.
- لا يأتي داسني إلى شخص غير معروف، تعال معي، أرشدني إلى ذلك الرجل الذي حللت ضيفاً عنده.
- قبل ذلك دعني استحم.
- بعدهاً تعال واستحم، الآن امشي أمامي.
(هذا الذي قال لي انه داسني، أراد التخلص من يدي).
- بأي حق تعاملني هكذا؟ (ظل يدندن).
- بحق السلام والانتباه، إني لا أثق بك.
- كذلك أنا لا أثق بك.
- قف، أتمنى أن امشي أمامك، وتوصلني إلى القرية، هناك ستعرف من أنا بعدهاً اذهب إلى أي مكان تريده.
- سأفعل ذلك، لكن يجب أن تأخذني معك.
(بدأت نظراته نحو حزامي، فراً باني لا احمل سلاحاً ، وضع يده على خنجره لهذا ضغطت بيدي على يده ودفعته فخرجته من وسط الأدغال).
- كيف لا تخاف وتفعل بي هكذا (يحدق بعينه تجاهي).
-أناً لا افعل بك شيء ..
- تعال معي بسرعة .
- ارفع يدك عني وإلا.....
- وإلاَ ماذا؟
- سأستخدم القوة.
- استخدمه.
ها.....

- (ضربني بخنجر، لكني مسكت يده، حتى دار حول نفسه).
- يبدو انك لا تخاف، واسفاه لك، (قلت له، ثم ضغطت على يده، فوقع الخنجر من يده.على الأرض، رفعت الخنجر ووضعته في جيبي).
- الآن امشي أمامي وإلا..... خذ ملابسي، وألبسهم.
- أستاذ أنقذني؟
- كيف أتيت إلى المطحنة الناعمة؟
- أنت ايزيدي؟
- لا.
- إذا" لماذا تود أن تأخذني إلى القرية؟مادمت لست ايزدياً ، دعني بشأني.
- إذاً كنت ايزيديا" أم لا، امشي أمامي.
(انحنى تحت يدي، لكن يجب أن تأتي معي، كناً ساكتين لحين وصولناً باعذرة.
لكن عندما وصلنا إلى القرية، تعقبناً مجموعة من الأشخاص إلى دار الأمير، وهناك سلمت إليهم هذا الشخص الغريب).
ايفراً كان واقفاً عند الباب، عند مرورناً بقربه، انه شك بهذا المتلبس (المقبوض عليه).
- من هو هذا الشخص الذي أتيت به إلى هنا؟(سألني علي بك).
- انه شخص غريب، قبضت عليه بجانب النهر، انه كان مختبئاً في ذلك المكان كان باستطاعته رؤية باعذرة بالكامل، كذلك رؤية أشخاص الذاهبين إلى معبد لالش.
- من هو هذا؟
- يقول اسمي لاساً وانه داسني.
- عندما أجبرته بالمجيء، أعطاني خنجره، وقال: خذ وافعل ما شئت به.

(بقيته في الداخل وخرجت، رأيت بولوك أمين مازال واقفاً في مكانه).

- أتعرف هذا الرجل الذي جلبته؟(سألته أنا).

- نعم ماذا فعل أفندي؟ بالتأكيد تعرفه، انه ليس سارقاً ولا قاطع طريق.

- لكن من هو؟

- ناصراغا، انه كولاكاسي (رتبة عسكرية) في الجيش التركي، رفيق ميرنالاً عمراماد.

- حسنا"، قل لحاجي خلف، أن يضع السروج على الفرأس.

(رجعت إلى المجلس، محمد أمين كان هناك، مختار القرية مع بعض الآخرين كانوا يسالون المقبوض عليه).

- منذ متى أخبأت نفسك في الأحراش؟ (سأله علي بك)

- عند مجيء هذا الرجل للاستحمام.

- هذا الرجل أفندي، أحذرك، أنت لست داسنياً ، ولست ايزدياً ، ما اسمك؟

- لا أقول اسمي !

- لماذا لا تقول؟

- لي أعداء مع أكراد هذه الجبال، لا يجوز أن أقول باسمي، ولا أستطيع أن أقول من أين أنا.

- منذ متى احد الكولاكاسية كان على عداء مع الأكراد المستقلين؟(سألته)

(اصفر وجهه أكثر من ذي قبل، عندما كان في وسط الأدغال).

- كولاكاس؟ماً قصدك من هذا الاسم؟(سألني).

- قصدي، أنت ناصراغا، رفيق ميرنالاً عمراماد، اعرف جيداً .

أنت- أنت - أنت تعرفني؟والله إنها نهايتي، آه من هذا الحظ الأسود.

- لا ليس بعيداً أن لا نفعل بك شيئاً ، إذاً قلت الحقيقة، لماذا أتيت إلى هنا؟

- ليس لدي شيء لأقوله.

- إذاً لم تقل الحقيقة فانك ستـ.....(قال له علي بك بعصبية).

- قطعت كلام علي بك بيدي، والتفت إلى المقبوض !

- حقا" لك أعداء؟

- نعم أفندي.

- حسنا"، مرة أخرى انتبه إلى نفسك، واعطني الوعد بعدم البقاء هنا، وترجع إلى الموصل وتترك عداءتك أرضاً ، سنطلق سراحك.

- أفندي (سألني علي بك) تذكر نحن في.....

- إني اعلم، ما تريد قوله (مرة أخرى قاطعت كلامه) هذا الرجل كولاكاسي السلطان، ليس بعيدا" يوماً ما يصبح احد جنرالاته، الآن أنت صديق السلطان، وماً بينكم في حالة جيدة، لا أود إيذاء هذا الضابط، لو كنت اعرفه للمرة الأولى، بالتأكيد لم يحدث شيء.

- هل تعدني، من الآن سترجع إلى الموصل؟

- نعم أعدك.

- حسنا"، اذهب، الله يكون معك، عداءك كي لا تكن خطراً لك.

(ناصراغاً قام باطمئنان، قبل ذلك رأى الموت بعينه، الآن أصبح حراً)

أفندي، إني أشكرك، الله يمنحك الفضل ولجميع أقربائك (ثم خرج، كان خائفاً من أن نتراجع عن قرارنا).

- ماذا فعلت (قال علي بك بغضب).

- لا، انه أفضل ما فعلت (أجبته).

- هذا هواستخباراتي، رجل استخباراتي، كان يستحق الموت !

- هذه حقيقة.

- وأنت أطلقت سراحه، لماذا لم تجبره على قول الحقيقة؟

(تألم الإيزديين ، لكني لم أموت نفسي، كي يطعن بي، سألت علي بك: أية حقيقة سيقول لك؟

- ليس بعيداً بكثير.

- لم يقل أكثر من هذا، ما نعلم فاعلم، ناصر اغاً يقتل نفسه ولا يقول الحقيقة.

- بعدهاً كناً سنقتله.

- ماذا يأتي بعدها؟

- لا شيء، سوى نقصان أحد رجال الاستخبارات.

- أهكذا، الذي كان يأتي شيء آخر، إنهم أرسلوا هذا الضابط، كي يعلموا، هل نعلم بهجومهم أم لا، إذاً سجناه، أم قتلناه، لكانوا قد علموا بأننا على علم بالهجوم، والآن أطلقناً سراحه، يعتقد ميرئالاً بأننا لا نعلم بهجومهم لهذا أطلقوا سراح هذا الضابط، سيقول: لا يوجد مغفلين يطلقون سراح ضابط، إذاً علموا بالهجوم عليهم، فهل قلت الحقيقة أم لا؟

- ارجوا المعذرة يا أفندي ! أفكاري ليست بعيدة، مثل أفكارك، لكني سأرسل احد رجالي ألاستخباراتي كي يتبع ناصراغاً هل غادر أم بقي هنا؟

- يجب عدم فعل ذلك، لأنه سيعتقد بأننا أطلقناً سراحه من اجل شيء ما، فانه سيختبأ هنا، باستطاعتك أن تسال هؤلاء الناس الذين يأتون إلينا، هل راءوا ناصراغاً في الطريق أم لا؟

- كنت مطمئنا" من عملي هذا لأني ضربت هدفين بحجر واحد، الأول أنقذت شخصاً من الموت والثاني أفشلت محاولة ميرئالاً عمراماد، كنت أفكر ذلك، عندما دخلت غرفة النساء، كي أتناول شيء، لكن قبل ذلك، كنت ابحث عن أدواتي الذي

أهداني (عيسى بن مفلاي)، كنت أخرجت سوار ذهب من غلافه، عندهاً دخلت الغرفة، رأيت (بك) الصغير الجميل على صدر أمه، حاولت رسم صورته، لم يكن بصعوبة، لان جميع الأطفال متساوين (مثل بعضهم)، بعد التقاط صورته وضعت الصورة في ذلك الغلاف الذي كان بداخله السوار وأعطيته لامه وقلت لها:

- للذكرى، هذه هدية تقبليهاً من شخص ألماني (طلبت منها) فيها صورة ابنك، هذه الصورة على الورق ستبقى إلى الأبد، حتى وان أصبح عجوزاً ، إنها نظرت إلى الصورة وفرحت، وبعد خمسة دقائق شاهدهاً كافة أفراد العائلة والحاضرين، وعنوة تخلصت من تشكر الحاضرين، وخرجناً ليس من اجل الإحساس بالعيد، لكن من اجل الظروف الصعبة، علي بك قد لبس أفضل وأجمل ملابسه ركبناً فرأسناً وخرجنا، تبعوناً رجاله، كان محمد أمين بجانبنا، لم يكن مرتاحا، لتأخر سفرناً إلى العمادية – فرقة موسيقية من تنبور ومزمار والدف في مقدمتنا، بعدهم نساء كثيرات خلف الحمير محمولين باللحاف والدواشك ومستلزمات الدار.

-هل أهالي باعذرة، تهيئوا للقتال؟(سالت علي بك).

- نعم - لقد هيأناً الحراس إلى الجراحية، في حالة تقرب العدو سيعلموننا بذلك.

- وستترك باعذرة للأتراك بدون قتال؟

- سيأتون صامتين، كي يغدروا بنا.

(من الآن فصاعداً أصبحت الأصوات عاليةً، العيارات النارية النارية من كل الجوانب، تشعر كأنهاً معركة كبيرة، الآن أصبح الطريق ضيقاً ، الطريق أصبح صعب ، الصعود إلى الجبل (اجبرناً إلى الترجل عن الخيول وان نذهب شخص تلوا الآخر بشكل نسق بسبب هذا المسلك الضيق، بعد ساعة من السير وصلنا إلى راس المفرق، الآن باستطاعتناً رؤية

الاخضرار والأشجار في وادي لالش من الأعلى، الإنسان يستطيع أن يعد الأحجار والقبب البيضاء، من العلو انطلقت العيارات النارية، في الأسفل أجابهم، أطلقت رصاصات بلا حساب، وكانت صداهاً تسمع من الجبال والوديان، وخلفناً تأتي القوافل باستمرار، وعند نزولناً من الأعلى رأيناً مجاميع من الحجاج يستريحون تحت ظلال الأشجار، عيونهم تشخص صوب القبب المقدسة والجبال الشامخة، عند وصولناً إلى المعبد الكبير، استقبلناً أمير شيخان وهو الشيخ الروحي للايزدية، من الأعلى مجموعة من الشيوخ أصبحوا في طريقنا، كانوا يقولون لأمير شيخان (مير حاجي) يقال انه من العوائل االبسميرية، عائلة من اكبر العوائل المعروفة عند الايزدية ويقال عنهم(بسمير) أو (البكوات) وأمير معبد لالش أيضا" كان شيخاً رحيماً ، كان موضع احترام وتقدير، لم يكن متكبراً ، وقد انحنى نفسه أمامي وكابنه قبل رأسي، السلام عليكم ورحمة الله.

- مرحباً بمجيئك (سلم الأمير).
- يسهل الله عملك (أجبته).
- يبدو انك لا تود التحدث معي بالتركية؟
- لم أجيد لغتكم بشكل جيد بعد.
- أمرك، أنت ضيفي في المكان المقدس، ما تود معد لك.
- (بالقرب منه ارتجلناً من جيّادنا، بإشارة منه البعض لزموا لجام جيّادنا، علي بك، شيخ محمد أمين وأناً بجانب أمير الشيخان دخلناً المزار، عند وصولناً الحائط للباحة، رأيناه محتشدة بالناس، دخلناً من الباب ، لا يجوز لغير الايزدية الدخول إلى الداخل، الذي يدخل يجب أن يخلع حذائه (حافياً)، وأناً مثلهم حفيت وتركت حذائي خارجاً ، الباحة كانت مليئة بأشجار الزيتون والعنب، الحجاج يستريحون تحت ظل هذه الأشجار كي يقوا أنفسهم من حرارة الشمس، والبعض من

القوالين والشيوخ كانوا قد استراحوا تحتهاً أيضاً إنهم أفرغوا لناً المكان وبقيناً لوحدنا.

داخل باحة المعبد توجد مجموعة من القبب قممهم مطلية بالذهب ومزينن بالمشاعل، الاثنان منهم قد علوا إلى السماء، كما كانت هناك بعض الصور على الباب الرئيسي والذي عرفتهم كانوا، أسد، ثعبان، فأس، رجل، ديك، داخل المعبد رايتهاً مقسمة إلى ثلاثة أقسام، واحدة اكبر من الأخرى.

- واجهة المعبد مبنية على الأعمدة فيها عين للماء، هذا الماء مقدس لدى الايزدية، يعمدون أطفالهم به في احد الأقسام الصغيرة، كان القبر المبارك تحت الغرفة المثلث.مغطاة بقطعة قماش خضراء كذلك مشعل منور موجود دائمي في الغرفة، كانوا يجددون تراب القبر، لان السدنة يصنعون البرات من التراب، الحجاج كانوا يشترون البرات بتلهف، كي تبقى ذكرى لديهم، كذلك للخير والتبرك يضعونه في شريط يلبسونه على عنقهم، وقد وضعوا البرات في كأس وبالأخص ربطوا بالأغصان أشجار العنب، البعض منهم كحبة الحمص، والبعض مثل حبة العدس والبعض مثل التبل، في الغرفة الثانية، هناك قبر آخر، لكن الايزدية ليست لديهم معلومات عنه، كانوا يشعلون المشاعل والشموع التي تحيط جدران المعبد المبارك في العيد، تتواجد بعض الغرف في المعبد للشيوخ والبيرانية والخدم، وكذلك لبعض الحجاج، لكل عشيرة ايزدية كان له غرفة لا يجوز لغيرهم الدخول إليها، كل هذه البيوت مع المعابد والمقابر المقدسة الجميع بداخل وادي حصين، الإطراف الأربعة للوادي مثل القمم الشامخة تمتد إلى السماء، خارج الجدران الأربعة، هنالك السوق السنوي، ملء بالأشياء ما يفتح شهي الإنسان وتم تعليقهم بأغصان الأشجار، من القماش الملون إلى أنواع الفواكه للبيع، لولاً الثقل لاشتريت أشياء كثيرة لوطني، هؤلاء الإيزديين قد جذبوا قلبي إليهم، يجب أن

أقول ما قال لي احد الرحالة العالميين في استنبول، عندما حل ضيفاً لمدة أسابيع في قرية تللسقف (الناس يلفقون التهم بالإيزديين، لان الإيزديين أفضل منهم، إذاً كانوا كثرة ولم يفرقوا لأصبحوا شعب ألمان (أسيا)، لكان المسيحيين يسندونهم، أنا أقول المسيونار والرحالة الذين جاءوا من وراء البحار، الجميع كتبوا عن الايزدية بالصدق والحقيقة.في الوقت المطلوب كي يعطون معنى لإيمانهم، لم أكن ثرثاراً ، كي ينزعجون، كان تعاملي الطيب معهم فقد أصبحنا كأنما في دار واحد ونعرف بعضنا الآخر منذ زمن بعيد)، المرة الأولى الحديث عن الهجوم التركي، من ناحية المعركة تحمل عبؤها علي بك.ثم الحديث عن شيخ محمد أمين وأنا والبهلوانية وأهدافنا الحالية.

ليس بعيداً أن تقعوا في المأزق وتحتاجون إلى تعاون (قال أمير الشيخان) سأعطيكم نيشاناً كل إيزيدي يراه سيمد يد العون لكم.

شكراً لك، ستزودنا برسالة (سألته)

- لا، سأعطيك ملاك طاووس (عجبت لذلك، هذا هو الاسم الذي يقال عنه إله عند الإيزديين، اسم ذلك الطير، الإيزدية يجلبونه إلى المعابد، هناك يشعلون البخور ويطفأن المشاعل كي لا يرى احد عبادتهم، وأخيراً أسماء هؤلاء المتدينين والصالحين، الذين يثق بهم أمير الشيخان والذين يعملون أعمال خاصة، يوجد توضيحات حول هذه الكلمة المظلمة، بكل سرور تحدث عنه، وأنا قد سنحت لي الفرصة وسألته: ملك تاووس، هل من إجازة أن اسأل ما هو ملك تاووس؟

(انه أجابني،كما يجيب احد لإبنه ، ملك تاووس، ذلك الاسم الذي لا نلفظه، ملك تاووس لدينا أيضاً صفة من صفات البطولة والانتباه، ملك تاووس عندنا صورة لـ (طير طاووس) الذي سأعطيك، وأعطي الذين أثق بهم، إني اعلم بتلك

الأكاذيب، تلك الأكاذيب الملفقة بنا، لا داعي أمامك ندافع عن أنفسنا، تحدثت مع شخص وقد رأى الكثير من الأديرة المسيحية قال لي، هناك العديد من صور السيد المسيح ومريم العذراء في الأديرة، كذلك صورة العين إنها رمز أب الله، صورة الحمام رمز روح الله، هذه الصور جميعاً موجودة هناك، لكن لا اصدق إنكم تعبدون تلك الصور، نحن نراكم بالصواب وانتم ترون بالخطأ، من هم الأذكياء نحن أم انتم؟انظر إلى ذلك الباب، اعتقد نحن نعبد تلك الصور؟

- لا.

- أترى صور، الأسد، الأفعى، فأس، الإنسان، الديك، الإيزديين لا يجيدون القراءة، لهذا الشيء الذي نريد أن نقول لهم، يتم بواسطة هذه الصور، إنهم لا يفهمون من الكتاب، لكنهم لا ينسون هذه الصور، لأنهم يرون تلك الصور على المقابر المقدسة، شيخ عادي كان إنساناً ، لذلك لا نعبده نحن نجتمع حول قبره، كما يجتمع الأطفال حول قبر آبائهم.

- هل هو واضع اعتقاداتكم !

- هو وضع بعض الاعتقادات، لكنه لم يوضع لناً العادات والتقاليد، لان مكان الاعتقاد هو القلب، لكن العادات والتقاليد تنبت في الأرض، تلك الأرض التي نعيش عليه،

- سمعت أن شيخ عادي يخلق أشياء لم يخلق؟

- الله وحده يستطيع خلق الأشياء، لكن إذاً أراد ذلك يفعله بأيادي الناس انظر إلى تلك الغرفة في داخلهاً عين ماء، شيخ عادي قد فتحهاً ، انشق الصخر فتدفق الماء من داخله، هذا ما قيل لنا، لا نلزم أناس بالاعتقاد، يصدقوا أم لا، انه فعلاً معجزة، هذا الماء الذي يجري من هذا الصخر الصلب واليابس، هذا الماء يرمز لناً نظافة الروح، لهذا نراه مقدساً ليس لأنه من مصدر عين زمزم (أمير الشيخان قطع حديثه، لان باب الباحة قد انفتح كي تدخل مجاميع إلى الداخل، كل حاج يحمل المشاعل

هذه الشعلة نياشين الشكر والتضحية من اجل الأفراح والمآسي لأهله وأقربائه جدير بالذكر هذه المشاعل لشيخ شمس هذا النور رمز نظافة الله، الحجاج جميعهم كانوا مسلحين، رأيت تلك الأسلحة التي صنعت بأيادي كردية رأيت اثنين من تلك الأسلحة كانتاً دون مستوى المطلوب، هذه الأسلحة لا تنفذ مهامها، الحجاج سلموا مشاعلهم إلى الشيوخ والبيرانية والقوالين هناك، ثم أتوا إلى أمير الشيخان رجلاً خلف الآخر كي يقبلوا يده، عندهاً غيروا حمل بنادقه بحيث تكون الفوهة نحو الأسفل والبعض منهم وضعوهاً على الأرض.

- هذه المشاعل كي تضيء الوادي ليلاً في أيام العيد، لا يجوز تزويد المشاعل بالنفط الأبيض والنفط الخام وإنماً بزيت السمسم فقط.

- عندما ذهبت قوافل الحجاج ما يقارب عشرين طفل قد عمدوه واختنوه، بعد فترة، أنا ومحمد تجولناً في الوادي، الشيء الذي أدهشني كثرة المشاعل والشموع، وماً حملوا التجار للبيع هنا، إذاً نظر إليه المرء لقال إنهم عشرة آلاف، كان يوم التجار، عندما وقفناً قليلاً أمام تاجر الزجاج والدر والمرجان، رأيت بير كمك الأبيض نازلاً من الأعلى للوادي، يبدوا انه سيمر من أمامناً إلى المعبد المقدس.عندماً رأني توقف وقال: أهلاً بكم في مزار شيخ شمس، من المفروض أن تتعرفوا على مقدسات الايزدية، عندما رأى الناس بير كمك اجتمعت حوله وأرادوا أن يقبلوا ردنه أو يده، انه خطب للذين حوله، هواء الصباح قد حرك شعره الأبيض وعيناه تبرق، حركاته كانت روح جديدة وحياة جديدة يقدمهاً للناس حينهاً في أعلى الوادي بدأت اطلاقات النار تسمع، الذين في الوادي أجابهم بالعيارات النارية للأسف إني لم أفقه من حديث بير كمك، لأنه كان يتحدث باللغة الكردية وبسرعة وأخيراً بير كمك قراً لهم مقطع ديني، وترجمهاً لي يوسف (ياَ الله الرحمن

الرحيم، الذي يطعم النمل، ويزحف الثعابين، يا صاحب الليل والنهار والباقي الدائم، الذي في العلا، الذي نور النهار وظلم الليل، عالم العلماء، القوة التي لا تقوى عليه، الذي يموت الأحياء)بعد أن قرأت المقطع، تفرق الناس، ثم جاء بير كمك وقال:

- فهمت ما قلت للحجاج؟

- القليل، تعلم إني لا أفقه لغتكم.

- قلت لهم، يجب أن أقدم ضحية إلى شيخ شمس، الناس ذاهبون إلى الغابة لجلب الحطب، إذاً أردت رؤيته أهلاً بك، الآن ارجوا المعذرة أفندي (ذهب بير كمك إلى مقابر الأولياء، قبلهاً كانت مجموعة من الثيران جمعهاً الناس مقابل جدار المزار المقدس، نحن اتبعناً بير كمك خطوة).

- ماذا تفعلون بالثيران؟(قلت لمترجمي) .

- سيذبحونهم.

- لمن؟

- لشيخ شمس.

- تستطيع الشمس أكل الثيران؟

- لا ، يتم تقديم لحمهم إلى الفقراء.

- فقط اللحم؟

- بأكمله، اللحم، العظام، المعدة، الأحشاء، الجلد، أمير الشيخان سيوزعها.

- والدم؟

- لا يجوز أن يشرب أحداً دمهم، الدم للأرض، لان الروح في الدم (هذا ما جاء في التوراة، أن الروح في الدم)، رأيت إنها ليست ضحية وثنية، لكن كهدية الحياة، كي لا يجوع الفقراء في العيد، عند وصولناً إلى مذبحة الثيران، رأيناً أمير الشيخان مع بير كمك وشيوخ وبيرانية وقوالين مع مجموعة من الفقراء، كل واحد منهم كان يحمل سكيناً في يده اليمنى،

المسلحين قد حاطوا بالثيران والأسلحة بأيديهم، تحضروا للرمي، أمير الشيخان نزع ملابسه المعتادة وقبض على الثور الأول ونخر عنقه بالسكين، في لحظة وقع الثور مذبوحاً ، بدأت الهلاهيل والزغاريد وإطلاق الرصاص، ثم رجع أمير الشيخان خلفنا، بدء بير كمك وكان منظره مدهشا" لأن شعره كان أبيضاً ولحة سوداء، كما فعل أمير الشيخان قبض على الثور الثاني وأوقعه، هكذا تم ذبح جميع الثيران، أمير الشيخان وقف على الضحاياً وفتح عصب الدم، تجمع الفقراء لأخذ اللحم، عندما تخلصوا من ذبح الثيران، جاءوا بقطيع من الأغنام، كذلك الأولى ذبحهاً أمير الشيخان، ثم الناس بدأت بالذبح،بعدهاً جاءني علي بك

- ستأتي معي إلى الكلينية (هو سألني) أريد تأكيد صداقة بهدينان.

- ألستم متحدين؟

- أن لم نكن متحدين، لماً اخترت رجال الاستخبارات منهم رئيسهم صديقي، لكن يجب أن ينبه المرء دائماً ، تعال، ذهبنا معاً ، زوجته في انتظاره، الجلسة كانت مفروشة بالسجاد، جلسناً لتناول الفطور، هنا استطعناً رؤية الوادي بالكامل، الوادي مفروشة بالناس، كل شجرة أصبحت خيمة، في العلو وعلى اليمين معبد شيخ شمس، هكذا بنيت، عند بزوغ أول أشعة للشمس يصلها، عند دخولي إليها كانت الجدران الأربعة فقط، لا توجد فيها شيء يذكر يعتقد المرء بوجود العبادة فيها، لكني رأيت ماءاً صافياً تنحدر من مجرى، كذلك رأيت كتابة على جدار من الجص، مكتوب، يا شمس، يا نور، يا حياة الله.

الآن قد جاءوا الكثيرين من الرحالة (أصحاب الأغنام) إلى أطراف المعبد، الرجال جالسين أمام الحائط، لبسوا عمامتهم باللون المفتوح، بشكل عجيب غطوا أجسادهم بالعتاد، لبس النساء الكتان، جدائلهن مزينات بالورد ومتدلي على الأكتاف،

جبينهن مغطاة بالذهب والفضة، لبسوا في أعناقهم قلائد من النقود والمرمر والمرجان والأحجار المنقوشة، رجل من سنجار كان واقفا" أمام جذع شجرة يقابلني، كان اسمر اللون، ملابسه بيضاء ونظيفة، نظر حوله، يرفع شعره الطويل على عينيه، يحمل بندقية طويلة ويحمل فتيلاً قديماً ، في خصره خنجر يدهاً منقوشة، يظهر انه رجل شهم وبجانبه زوجته كانت تحوم حول النار، تخبز كعكات الشعير، بعدهم طفلين أسمرين شبه عراة يتسلقان جذع الشجرة، كل واحد منهم يحمل سكينة، ليس بعيدا" عنهم، الكثير من أبناء المدن قد نصبوا خيامهم، يبدو إنهم من أهل الموصل، رجالهم كانوا منشغلين بحميرهم المنهكة، نساءهم ضعيفات الوجه، غير جميلات، من الواضح إنهم فقراء ومنهمكين، الناس قد جاءوا من كل صوب، رجال ونساء وأطفال، من الشيخان، سوريا، ميديات، سيمسات، ميردين، نصيين كندال، ديلماميكان، كوكان، من كوجلليكان، حتى منطقة توزبك، وديلماكومكومكو، كبار السن والشباب، فقراء واثرياء، الجميع في قمة النظافة، البعض قد وضعوا ريش الطيور في عمائمهم، والبعض افندية بدون عمامة، الجميع مسلحين، الجميع يعيشون كأخوة وأخوات، النساء غير متحشمات، الجميع عائلة كبيرة واحدة، هنا كان اللقاء، الآن أطلقت حفنة من العيارات النارية الجميع توجهوا نحو القبور المباركة.

- لماذا توجهوا الناس إلى هناك؟(سالت علي بك).
- لجلب لحم الثيران (الضحايا).
- هناك شخص يقسّم لهم؟
- نعم، فقط الفقراء، إنهم يصطفون داخل الخيام أو تحت ظلال الأشجار، أكبرهم يذهب معهم، ويجلبون معهم نيشان (علامة).
- الشيوخ والبير والقوالين، لن يأخذوا من اللحم؟

- لحم الثيران، لا، لكن في اليوم الأخير للعيد، يذبحون بعض الثيران والخرفان ، يجب أن تكون الذبائح بيضاء اللون لحمهماً للشيوخ والبيرانية.....

- هل يجوز لعلماء الدين أن يقترفوا ذنوباً ؟

- لماذا لا يجوز، أنهم بشر.

- حتى أمير الشيخان، بيرانية، الصالحين؟

- هم أيضا".

- أتعتقد إن الشيخ الكبير المقدس، شيخ عادي كان له ذنوب؟

- نعم الشيخ عادي له ذنوب، لأنه ليس الله.

- تتركون ذنوبكم على أرواحكم؟

- لا، نرفعهاً عن الأرض.

- كيف؟

- برمز النظافة، بالنار، بالماء، إنناً في يوم أمس قد استحمنا، كي تزيل ذنوبنا، نقسم بعدم التكرار، بعدهاً الماء تغسلناً من ذنوبنا، واليوم مساءاً سترى كيف تنظف أرواحناً بالنار.

- أتعتقد بان الروح لن تذهب مع الجسد؟

- كيف تموت الروح، إنها جاءت من الله.

- إن لم اصدق ذلك، كيف تقنعني؟

- الم يذكر كتابكم المقدس، انه بعث هواءاً أبديا" عبر الأنف إلى القالب.

- حسناً ، أو لم تمت الروح، فأين تذهب عند موت الجسد؟

- كيف يخرج الزفير، ونقوم بعملية الشهيق مرة أخرى، هكذا تأتي نفس الله مرة أخرى، بعد تخلصه من الذنوب.(حان الآن موعد الذهاب).

- كم تبعد الكلينية من هنا؟

- أربع ساعات بالخيل.

- (خيولناً في أسفل الوادي، ركبناً وبدون حراس تركناً الوادي، الطريق نحو الأعلى، عند الجبال العالية والحصينة، عند وصولناً إلى أعلى الجبل رأيت أمامي غابة كثيفة في الوديان، هذه منطقة المزورية، البهدينانية في هذه المنطقة أيضاً ، طريقناً أصبح في النزول من الجبل.

ثم صعدناً نحو جبل آخر، مرات عند الأحجار والصخور، ومرات أخرى عبر غابات كثيفة، وصلنا إلى قرية معلقة في سفح الجبل، ولكنهاً مهجورة، هنا وهناك لابد التخلص من مياه العيون الكثيفة الباردة، مياههم تنحدر نحو كومل، ثم نحو خازر، ثم تصل إلى الزاب الكبير عند اسكي كوشاف، وتعبر إلى نهر دجلة، حول تلك القرية التي تحدثناً عنهاً كانت بساتين عنب وبجانبهم السمسم، القمح والشعير والقطن، التين والجوز والرمان والخوخ زعتر وتوت وأشجار الزيتون.

(لم نرى في طريقناً أشخاص).لان الأيزديون الساكنين في هذه المنطقة إلى منطقة جوله ميرك، الجميع موجودون في وادي لالش، قطعناً ساعتين، عندما نادى احد علينا، قفز شخص من الغابة إلى طريقناً انه كردي، لبس سروال واسع ومفتوح، لابساً كلاش (نوع من الأحذية) بدون جواريب، لف نفسه بقميص، منزلاً حتى بطنه، شعره الكثيف أصبح جدائل على امتانه، قبعة صوفية (تحتي) فوق رأسه، كأنما عنكبوت متدلي من على رأسه، لكنه غير مسلح.

- طاب يومكم (انه سلم) (أين أنت ذاهب يا علي بك).
- الله يحفظك (علي بك أجابه)أتعرفني؟ من أية عشيرة أنت؟
- أنا بهدينانى، بك.
- من أهل الكلينية؟
- نعم من أهل الكلينية.
- أين بيوتكم الآن؟ أمازلتم في القرية؟
- لا، هجرناً القرية إلى هنا. دوركم بالقرب من هنا؟.

- من أين عرفت إن دورناً بالقرب من هنا؟
- عندما يبتعد مقاتل من أهله، يحمل سلاحه، لكنك لم تحمل سلاحك.
- تقول الحقيقة، أتريد مع من أن تتحدث؟
- أريد التحدث مع رئيسكم حسين أغا.
- ترجلوا من خيولكم، واتبعوني.

(ترجلناً ولزمناً لجام خيولنا، في الحقيقة لم أفقه كل ما دار في حديثهم، لكن بفضل هذه الأيام التي رافقتهم فيها استطعت فهم البعض منها، هذا الكردي وصلنا إلى غابة، رأيناً مخيمهم، كان محاط بسياج من الأشجار الواقعة وجذع الأشجار، كانت تحتوي على مجموعة من الدور المتكونة من جذع الأشجار وأوراقهاً وعمود الأشجار.هناك فتحة واحدة للسياج دخلناً من خلالها، لاحظناً مجاميع الأطفال يلعبون، الرجال والنساء كانوا منشغلين ببناء وتوسيع المخيم وتقوية السياج، رأيناً كوخاً كبيراً في مكان منعزل، يبدو لنا، انه دار الأغا، عندما رآناً الأغا، استقبلناً ورحب بنا، الله يكبر دولتكم، مع هذه الكلمات صافح رئيس عشيرة بهدينان علي بك، ثم أعطى إشارة إلى زوجته بتهيئة مكان الضيوف لغرض الجلوس، حسين أغاً لم يهتم بي، لو كنت ايزديا" لاستقبلني بكل احترام وتقدير، زوجته جلبت لناً ثلاثة غليونات مصنوعات من شجرة الليمون (نوع من الحمضيات)، فتاة شابة جلبت لناً صحن مليء بالعنب وأخرى من العسل، حسين أغاً نزع من حزامه كيس التبغ المصنوع من جلد القطط ووضعه عند علي بك.

في هذا الأثناء وضع حسين أغاً يده الغير النظيفة في العسل قطع منه خلية ووضعهاً في فمه، علي بك ملء غليونه بالتبغ واحرق فيها النار.

- قل لي هل هناك صداقة بيننا؟ (علي بك فتح الحديث) .
- نعم هناك صداقة بيننا (أجابه حسين أغا).

ماَ بين أهلي وأقربائي واهلك وأقربائك؟
- نعم بينهم أيضا".
- ستساعدني إذاً هاجمني العدو؟
- نعم سأساعدك.
- ستساعدني إذاً طلبت مساعدتك؟
- إذاً لم يكن العدو صديقي، سآتي لنجدتك.
- هل والي الموصل صديقك؟
- هذا تركي عدوي، وعدو كل كردي مستقل، انه لص، ينهب أغنامناً وبناتناً ويبيعهم.
- هل سمعت بان شكيب خليل باشا سيهجم علينا في وادي لالش؟
- سمعت من رجالي، الذين أرسلتهم إلى العمادية.
- العدو سيأتي من أرضك ماذا ستفعل؟
- سترى (حسين أغا، أشارة إلى المجمع، لقد تركناً الكلينية وجئناً إلى الغابة، الآن نعمل سياج حولنا، كي ندافع عن أنفسناً خلفه، في حالة الهجوم علينا).
- هم لا يهجمون عليكم؟
- من أين لك هذه المعلومات؟
- حسب تصوري إذاً استطاع مقاتلي باشا، بالهجوم علينا فجأة، يتجنبون كافة المعارك الأخرى، سيأتون بغفلة صامتين عبر الغابات من أراضيكم، ولا يسلكون الطريق العام لحين الوصول إلى لالش.
- انك تقول الحقيقة .
- إذاً اجتازتناً القوة التركية، عندهاً سيتم الهجوم عليكم.
- لا يجوز أن يجتازك.
- عندهاً لا تساعدني؟
- نعم أنا أساعدك، ماذا افعل؟ أتريد أن أرسل مقاتلي إلى لالش.

- لا،تضربهم.لناً الكثير من المقاتلين هناك، كي يقفوا بوجه الترك، أريد أن تخبأ مقاتليك هنا وتدع مقاتلي الأتراك العبور بصمت، كي لا يمتلكون أفكاراً عنا.

- ثم نضربهم .

- لا، لكن عند رجوعهم اقطع عليهم الطريق ما بين التل الثاني والمعبد هناك مضيق ضيق، لا يستطيع أكثر من اثنين العبور من خلاله في آن واحد، إذاً نصبت كمين، تستطيع بعشرين مقاتل أن تلقي القبض على ألف تركي.

- سأفعل هذا، ما هي منحتي؟

- إذاً لم تشارك في المعركة، وانتصرت على العدو، سأمنحك خمسين بندقية، لكن إذاً شاركت في المعركة ببطولة ضدهم، سأمنحك مئة بندقية تركية.

- مئة بندقية تركية (حسين أغاً من القلب قال) بسرعة مد يده إلى العسل ووضع خلية أخرى في فمه، اعتقدت بأنه سيختنق، مئة بندقية تركية، وكرر مرة أخرى ومد يده إلى العسل.

- أتوعدني، أنت صاحب الكلمة؟

- هل كذبت عليك مرة أخرى؟

- لا، أنت أخي، أنت صديقي، صديق المعركة، أثق بك، وأناً استحق البنادق.

- أنت تستحق البنادق إذاً تركت الترك يعبرون بصمت.

- إنهم سوف لا يرون رجالي.

- الذين يتخلصون من يدي ويرجعون إلى الخلف سنقطع عليهم الطريق .

- لن اقطع المضيق فقط، لكن الأطراف والوادي وفوق وتحته سأقطع، كي لا يستطيعون العبور ولا يستطيعوا العودة إلى الخلف لا في جهة اليسرى أو اليمنى.

- هذا أفضل شيء، أنا لا أريد أن تنزف دماً ، المقاتلين لا ذنب لهم، هم جلبوهم بالقوة، إذاً كناً قساة معهم، عندهاً سلطان استنبول سيحقد علينا وسيرسل جيشا" كبيراً للانتقام منا، أنا أفقه ذلك، يجب أن يفكر الإنسان بكل شيء.

- متى يأتون الأتراك؟،

- رئيسهم هكذا وضع الخطة، منذ الصباح الباكر، سيهجم على لالش.

- أعلم انك بطل، كيف الحديديين سحبوا عدوهم إلى وادي درجة، ثم أسروهم بالأيادي، أنت ستفعل مثلهم.

- أسمعت ذلك؟

- من لا يدري، بأخبار هذه البطولة، إنها انتشرت بسرعة في الجبال والوديان، وقام بالبطولة رئيسهم محمد أمين.

(علي بك نظر إلي وضحك) ليست بالسهولة أن يأسر الآلاف من المقاتلين بالأيادي.

- لم يكن باستطاعة محمد أمين أن يفعل ذلك لولاً مساعدة قائد أجنبي له، بالرغم من بطولته.

- واحد أجنبي بك؟(قد سأل) علي بك انزعج من عدم اهتمام البهديناني لي، لهذا قد جاءت الفرصة ليخجله).

- نعم، واحد أجنبي (حسين أغاً أجاب) لحد الآن لا نعلم بذلك.

- قص لي هذه القصة !(هذا الكردي بهذه الصورة قال القصة).

، عندما اجتمع محمد أمين رئيس عشيرة الحديدية مع وجهاء عشيرته في خيمتة، عندهاً جاءهم فارس من غيمة ووقف في منتصف المضيف، السلام عليكم (سلم) وعليكم السلام (محمد أمين رد السلام)، أيهاً الغريب من أنت ، ومن أين جئت؟ ، هذا الغريب كان راكباً فرساً اسود، كسواد الليل،

غطى جسمه بالدرع، في يده سهم من فضة، تبرق مثل أشعة الشمس، خنجره يتلألأ مثل المرجان، سيفه من حديد والفولاذ.

-أناَ قائد عسكري ووطني بعيد، (هذا المتلألئ أجابه)، أنا احبك، قبل ساعة سمعت بان عشيرتك ستباد، لهذا ركبت فرسي الهوائي، وجئت لنجدتك.

- من هو الذي سيبيد عشيرتي (سأله محمد أمين).

- الله قد وضع اسم العدو على هؤلاء الناس.

- أنت متأكد مما تقوله؟

- درعي يكشف لي ما يحدث على الأرض، انظر إلى هنا (محمد أمين نظر إلى درعه الذهبي، وجد درة في داخله، أربعة أو خمسة مرات اكبر من يد الإنسان، انه يجمع عدوه في هذه النقطة، ثم يقاتل ضدهم).

- هذا أي بطل محترم (قال) سوف ننهزم؟

- لا، لن تنهزمون، سأساعدكم (قال الغريب) اجمع مقاتليك حول وادي درجة، انتظر لحين اجمع عدوك في ذلك الوادي، أعطى إشارة إلى فرسه، مرة أخرى صعد إلى السماء واختفى وراء الغيوم، محمد أمين فعل ما قال له الغريب، حشد بمقاتليه حول الوادي وانتظر لحين مجيء قوة العدو إلى الوادي ولم يستطع الخروج منها، في اليوم الثاني صباحاً أتى البهلوان الغريب، كضياء من بعيد، كما تشع عشرة شموس، هذا الضياء أعمى عيون أعداءه، فلزموا أعينهم وبقوا في الوادي، ثم عكس الغريب درعه، أعداء محمد أمين فتحوا عينوهم، لكن ماذا رأوا إنهم في الوادي ولا طريق لهم للعبور، لابد الاستسلام لمحمد أمين، محمد أمين لم يقتل عدوه، لكن غنموا بعض القطعان من الأغنام، وفرضوا عليهم دفع ضريبة سنوية إلى الأبد.

(هكذا روى حسين أغاَ القصة وانتهى وسكت)

- بعدهاً ما مصير البهلوان الغريب (علي بك سأله).

- السلام عليكم (قال حسين أغا) ثم فرسه الأسود رفعته إلى السماء واختفى وراء الغيوم.

- هذه قصة ممتعة، لكن هل تعتقد إنها حقيقية؟

- هذه القصة حقيقة وحدثت، خمسة من رجال (جلو) كانوا في السلامية، استمعوا القصة من الحديدية وإنهم عبروا من هنا وقصوهاً لي ولأهالي القرية.

- انك تقول الحقيقة (علي بك وضح ذلك) حدثت هذه القصة لكن ليست هكذا، بصورة أخرى، أتريد رؤية الجياد.

- علي بك لا يجوز ذلك؟

- يجوز ذلك.لان الجياد ليست بعيد عنك، تلك هي الجياد.

- تتلطف معي !

- أقول الحقيقة.

- حقيقة لم أرى فرساً مثلها، لكن الجياد لهذا الرجل.

- هذا الرجل هو البهلوان، الذي ذكرته في قصتك !

-لاَ يجوز(من التعجب، هكذا فتح هذا الكردي فمه، كأنه تحت يد طبيب الأسنان).

- تقول لا يجوز، أكذبت عليك يوماً ، وتأكد ان ما أقوله هي الحقيقة.

(مرة أخرى انفتح فم وعيون حسين أغا، نظر لي، دون تشعر مد يده إلى العسل مرة أخرى، لكنه وضع يده في كيس التبغ هذه المرة ووضعه في فمه، بدأً بالسعال، ورش وجه علي بك بالتبغ.

- عليك بالنبي، أتقول الحقيقة؟.(انه سال علي بك لكن بتعجب) .

- قبلهاً أكدت لك ذلك (علي بك ضحك ومسح وجهه بردنه).

- لكن كقائد العسكري (التفت إلي حسين أغا) مجيئك إلى هنا خيراً لناً إنشاء الله.

- أوعدك مجيئي إلى هنا خيرُ لكم (قلت الكلمة بمعنى، وقد فهمني).

- فرسك الأسود موجودة هنا (استمر بالحديث) لكن أين درعك المرصع بالدرر وسهمك وسيفك.

- اسمعني، أنا ذلك المقاتل الذي ساعد محمد أمين، لكنني لم أتي من السماء، ولم اذهب إلى السماء، إني جئت من بلد بعيد، أنا لست ذلك القائد.

لاً امتلك سلاحاً ذهبياً وفضياً ، هذا هو سلاحي، ما تراه، لا يمتلك أحداً مثله، من السلاح لا أخاف إطلاقاً من العدو، أراك كيف تطلق بندقيتي، برأسك ورأس أبيك ورأس صديقي علي بك، أنت لا تفعل (ترجى بخوف) يبدو انك تغيرت سهمك وسيفك وبندقيتك، حملت السلاح الجديد، يبدو أخطر من ذي قبل لا أدري ماذا تقول، لكن أوعدني، هل تريد صداقتي؟

ماً فائدة صداقتك، يقال المثل في وطنك، العدو العاقل أفضل من الصديق المجنون

- أنا مجنون - يا أستاذ؟

- إلا تعلم يجب على المرء أن يفرح ويصافح ضيفه، وخاصة إذاً كان بمعيته احد الأصدقاء - تقول الحقيقة، انك قيدتني بمثل شعبي، لكن من فضلك أن أجيب بمثل آخر.

الصغار يجب أن يتبعوا الكبار، أنت رجل كبير، أنا استمع إليك

- أولاً استمع إلى صديقي علي بك، انه سينتصر ويمتلك البنادق التركية.

- أتألمت، ارجوا المعذرة !

- على راسي، لخدمتك لم اقصر أبدا"

- خذ هذا العنقود من العنب وكله، خذ كيس من التبغ ودخن منها(غليونة من التبغ).

- نحن نشكرك (أجابه علي بك)، انه تعلم على الأكلات الشهية والنظيفة، تناولناً قبل مجيئنا، لا نود فقدان الوقت، نود الرجوع إلى لالش، (قام علي بك وقمت معه، حسين أغاً وصلنا إلى نقطة الوداع، ووعد بتنفيذ وعده بأفضل ما يمكن، وعدناً بنفس الطريق، عندما رجعناً من ضيافة رئيس البهديناني ، وصلنا إلى وادي لالش، رأيناً بان أناس قد وضعوا أمام دار علي بك كمية كبيرة من قش الرز والأشجار اليابسة، ويعلونه باستمرار، بير كمك هناك بعض الأحيان يضع الأغصان فوق الكومة).

- بير كمك يهياً لعمل ضحية كبيرة (قال علي بك).

- ماذا يقدم الضحية؟

- ليس بعيدا"، حيوان؟

- فقط الوثنية يحرقون الحيوانات.

- هل سيكون فاكهة؟

- الايزدية لا يحرقون الحيوانات ولا الفاكهة، بير كمك لم يقل لي، ماذا سيحرق، لأنه مقدس لذلك لا يرتكب ذنبا"، صوت اطلاقات الحجاج تأتي من التلال المقابلة، الحجاج في الداخل أيضاً يجيبون بالمثل، عند نزولناً من الأعلى، رأيت من الازدحام لا مكان في الوادي، سلمناً جيّادناً إلى البعض وذهبناً إلى المعبد المقدس. عين ماء في الطريق، حوله صخور، رأيت أمير الشيخان كان جالسا" على احد هذه الصخور، حوله مجموعة كبيرة من الحجاج، إنهم باحترام كانوا واقفين ويستمعون إلى حديثه.

- هذا عين مبارك، يجوز للشيوخ وللأمير والبير والقوالين الجلوس على الصخور، ارجوا المعذرة إن أصبحت واقفاً (قال لي علي بك)

- سوف احترم مقدساتكم (عندماً اقتربناً من العين)، أمير الشيخان أعطى إشارة إلى الحجاج من حوله، كي يترك لناً

مكاناً ، لنجلس بجانبه، نهض الأمير، وتقدم بعض خطوات نحوناً واستقبلناً بحفاوة.

- أهلاً وسهلاً بكم، اجلسوا على يساري ويميني (أمير الشيخان أشار إلى علي بك بالجلوس إلى يساره وترك يمينه كي اجلس أنا، وجلست على الحجر المقدس، لم أرى أية انزعاج من الحاضرين حول جلوسي هذا، كما نرى عند الشعوب المسلمة.

- تحدثت مع الأمير البهديناني (قال أمير شيخان لـ علي بك).

- كل شيء على ما يرام، تحدث مع الحجاج؟

- لا.

- اعتقد حان الوقت كي يجتمع الناس، أعطي الأوامر ليجتمعوا.

- أنا مختص بالدين، البقية تقع على عاتقك، سأحافظ على جميع الاعتقادات لن ادع العدو ينتصر، هذا بحد ذاته أغناء للدين، هذا ما لم نره عند أئمة المسلمين، ذهب علي بك وتحدثت مع الأمير، لاحظت حدوث مشكلة لدى الحجاج كبرت شيئاً فشيئاً ، النساء والأطفال وقفوا في أماكنهم، والرجال وقفوا مجاميع، وجهاء العشائر والشخصيات المهمة اجتمعوا حول علي بك، بين لهم نية والي الموصل شكيب خليل باشا بالهجوم علينا هنا في وادي لالش، الجميع استمعوا صائغين إلى علي بك، مثل نظام العسكري الأوربي، هذا من جهة، إنها كانت مختلفة عن الضوضاء التي تحدث في المعسكرات الشرقية، عند انتهاء علي بك من الحديث، كل منهم رجعاً بانتظام إلى مكانه، جاء إلينا علي بك.

- ماذا أعطيتهم من الأوامر (قال له أمير الشيخان، علي بك أشار إلى الطريق الذي عدناً منه، رأيناً حوالي عشرين رجلاً صاعدين نحو الأعلى).

- انظر إلى هؤلاء المقاتلين، إنهم من أهالي، ابرام وحاجي دشو وشوراخان، إنهم خبراء بهذه المنطقة، إنهم ذاهبين إلى طريق الترك، سيزودناً بالمعلومات في حينه، كذلك أمام باعذرة نصبت حراس، الترك لا يستطيعون التحايل والهجوم علينا فجأة، أمامناً ثلاث ساعات لحلول الليل، هذا الوقت يكفينا، لإيصال النساء والأطفال والرجال الفائضين إلى وادي إيدز، زلك سيكون في المقدمة، ثم يتبع الرجال خلف النساء والأطفال.

- هم سيحضرون في الحفل المبارك.

- نعم بالتأكيد سيحضرون.

- فليذهبوا، بعد فترة قصيرة، بدأت القوافل (قوافل الحيوانات، المحملة بمستلزمات المنزلية) مرت المسيرة من أمامنا، بالترتيب، اختفت خلف المزار المبارك، ثم ظهرت في الطريق الصخري، من مكاننا يمكننا ملاحظة القافلة بالكامل حتى راس تل الغابة الكثيفة، الآن يجب أن اذهب مع علي بك لنتناول الأكل، قبلهاً باشبزوخ ايفراً - جاءني وقال:

- أستاذ يجب أن أقول لك شيئاً .

- ماذا ستقول؟

- خطورة كبيرة اً ستقع علينا !

- ما هذه الخطورة؟

- لا ادري، لكن هذه نصف ساعة، الأيزديون ينظرون لي بغضب، يظهر إنهم سيقتلونني (بولوك أمين كان يلبس ملابسه العسكرية، فان الايزدية يغضبون من هذه الملابس، لكني متأكد انه في مأمن، وان الإيزديين لا يمسونه بأذى.

- هذا ليس جيدا"، (أجبته) إذاً قتلوك من سيخدم ذيل الحمار؟ (لأنه في الليل يجب عليه أن يضع الحجر في ذيل الحمار كي لا ينهق)

- يا أستاذ، سوف يقتلون الحمار أيضا"، الم ترى قتل الثيران والأغنام أيضاً !

- اطمأن، لن يقتلك احد ولا حمارك، انتم جيدين لبعضكما، لا يستطيع احد أن يفرقكما.

- أتوعدني؟

- أوعدك.

- قبلهاً عند ذهابك، خفت كثيراً ، هل ستذهب مرة أخرى؟.

- سأكون هنا، لكن لا تخرج من الدار، لا تذهب عند الايزدية، عندهاً أستطيع محافظتك.

(انه ذهب مطمئناً ، والي الموصل قد رافقني هذا البهلوان، كي يحافظ علي).

بعد ذهابه جاء صوت الخطورة من جهة أخرى، جاءني خلف وقال: أستاذ هل تعلم إن المعركة ستبدأ؟

- معركة؟بين من؟

- بين العثمانيين والإيزديين.

- من قال.

- لم يقل احد.

- لم يقل احد؟أسمعت حديث باعذرة يوم أمس؟

- يوم أمس لم اسمع شيء، لأنكم تتحدثون بالتركية، كذلك هؤلاء الناس يتكلمون بلغة لا أفقهها، لكن رأيت مجاميع الرجال المسلحين، تأهبوا للقتال، مجاميع أخرى قد تركوا مع حيواناتهم وأموالهم، كذلك عندما صعدت إلى محمد أمين رايتهم يخرجون العيارات النارية القديمة من مسدساتهم ويستبدلونهاً بالجديدة، إلا تكفي هذه الإشارات بان العالم تنتظر موقفاً ذو خطورة؟

- تقول الحقيقة يا خلف، غدا" صباحا" من جهة باعذرة ومن جهة كلينية سيهاجمون الإيزديين.

- الإيزديين يعلمون بذلك؟

- نعم.
- كم عدد جنود الأتراك؟
- ألف وخمسمائة جندي.
- سيقتل الكثير من الأتراك، لان الإيزديين يعلمون بخطتهم، ستساعد من يا أستاذ، الترك أم الايزدية؟
- لن أقاتل احد !
- لن تقاتل أحداً ! (قالهاً بتعجب) أنا أيضا" لا أقاتل احد !
- أتريد مساعدة من؟
- سأساعد الايزدية.
- ستساعد الايزدية يا خلف، أتعتقد بان الايزدية سيبعثونك إلى الجنة؟
- يا أستاذ، سابقاً لم اختلط بهم، لكن الآن أودهم.
- لكنهم كفرة؟
- انك في كل الأوقات ،الم تساعد الناس الجيدين، قبل أن تسألهم من أي دين انتم؟
شاطري خلف، كان دائماً يحاول أن أصبح مسلما"، لكن الآن فرحت كثيراً بعدماً رأيت بان حب المسيحية قد ملأ قلبه (أجبته).
- ستبقى معي؟
- عندما يكون الناس في المعركة !
- ليست بعيدة، أن تسنح لناً فرصة، كي نقدم لهم شيئاً أفضل من المشاركة في المعركة.
- إذاً كنت كذلك سأكون معك، بولوك أمين؟
- هو كذلك، (ذهب صاعداً إلى الشيخ محمد أمين)
- الحمد الله قد جئت (انه قال) كيف أن الحشيش يحترق لندى الليل شوقا"، أنا كذلك احترق لرؤيتك.
- وكل الأحيان هذا مكانك؟

- كل الأحيان، يجب عدم ملاحظتي من قبل الناس، لعدم بيان خطتي، هل لديك خطة من جديد؟ (قلت لك ما عندي، وفي النهاية، فقد أشار إلى سلاحه على صدره)

- سنقاتلهم؟

- إلا نحتاج إلى السلاح؟

- لا، احتاج، إلا يجب أن أدافع عن نفسي وعن أصدقائي؟

- أصدقاؤك، يمتلكون القوة الكافية، يبدو انك تود أن تقع أسيراً بأيدي الترك ولا تخلص من أيديهم، وأما تريد أن تضرب باطلاقة أو طعنة خنجر، كي يبقى ابنك في السجن لفترة أطول.

- أيهاً الأمير انك تتحدث بذكاء، وليس كبهلوان

- شيخ، أتعلم أنا لا أخاف من أي عدو، علي بك طلب مناً الابتعاد عن المعركة، انه يعتقد بعدم حدوث أية معركة، أنا أيضاً اعتقد ذلك

- أتعتقد بان الترك دون الدفاع سيسلمون أنفسهم؟

- إن لم يفعلوا هذا، سيبيدون جميعاً .

- ضباط الترك جبناء بينماً الجنود أبطال، إنهم سيهاجمون الأماكن المرتفعة ويحررون أنفسهم

- ألف وخمسمائة سيقاتلون ستة آلاف رجل؟

- إذاً استطاع الإيزديين اخذ المرتفعات وتطويق الترك.

- سيستطيعون.

- يجب أن نذهب إلى وادي إيدز مع النساء والأطفال؟

- أنت لوحدك.

- وماذا تفعل أنت؟

- سأبقى هنا.

- الله اكبر، لماذا يبدوا إن موتك تقترب !

- أنا لا اعتقد، احمل إجازة السلطان، كذلك رسائل والي الموصل، بولوك أمين معي أيضاً ، كل هذه الأشياء ستحفظني.

- ماذا تريد أن تفعل هنا؟

- إذاً استطعت، سأمنع حدوث نزيف الدم.
- علي بك يعلم بذلك؟
- لا
- أمير الشيخان؟
- وهولاً يعلم كذلك، إنهم سيعلمون في حينه (في الحقيقة بذلت جهداً حتى استطعت أن اقنع محمد أمين إلى الطريق)
- الله - الله، مصير الإنسان مكتوب في الكتاب المقدس(قال محمد أمين)، أنا لا أود أن أضع جانباً ما تروم إليه، لكن سأبقى معك.
- أنت؟ هذا لا يجوز
- لماذا؟
- يجب أن لا يرونك الترك
- لا يرونك أيضاً وضحت لك، سابقاً لا خطورة علي، لكن إذاً وضحت أمرك، سيلقون القبض عليك بعدهاً يجب أن ننتظر فرصة أخرى
- ما كتب الله لنا، مذكور في الكتاب، إذاً أراد الله أن أموت، سأموت، إذاً كانت هنا أو في العمادية أو في أية مكان آخر، لا فرق في ذلك.
- ستنتهي، لا تنسى ستنهيني معك (فقط بقيت هذه الطريقة عندي، كي أخلصه من العناد)
- سأنهيك أنت، كيف؟(هو سال)
- إذاً بقيت لوحدي هنا، فان إجازتي سيحفظني، لكن إذاً رأوك أنت معي، أنت عدو الوالي، كذلك السجين الهارب، عندهاً لا يفيد شيء، سننتهي نحن الاثنين معاً
- لقد انحنى برأسه، وفكر، علمت بأنه لا يود الذهاب إلى وادي إيدز مع النساء والأطفال، لكني سنحت له الفرصة، كي يعطي قراره بتردد.(قال الأمير)
-، أتعتقد باني جبان يا أمير؟

- لا، أعلم بأنك رجل شهم وشجاع.
- علي بك بماذا سيفكر عني؟
- بماذا أفكر عنك أنا، هو أيضاً يفكر بك، كذلك أمير الشيخان.
- وبقية الإيزديين؟
- إنهم يعرفونك وسمعوا بأسمك، إنهم يعلمون انك لا تهرب من أي عدو.
- إذاً الناس أصبح لديهم الشك في شجاعتي، ستدافع عني؟وتقول من أجل احترامي ذهب مع النساء والأطفال إلى وادي إيدز .
- سأقول ذلك في كل مكان.
- سأفعل ما تريد (رمى بندقيته جانباً دون أرادته، وتوجه نحو الوادي، الذي كان يصدي منه صوت قطيع الأغنام، الآن رجعوا الرجال الذين رافقوا النساء والأطفال إلى وادي إيدز، بعدهاً سمعناً صوت دوي العيارات النارية من داخل المزارات والقبور المباركة، حينهاً وصل علي بك وقال:
- بداً الاحتفال في داخل المعبد والقبور المباركة، لحد الآن لم يحضر أجنبي فيها، لكن أمير الشيخان باسم كافة الشيوخ والبيرانية والقوالين والفقراء يدعوكم لحضور هذه الاحتفالية، في الحقيقة هذه كانت مصدر فخر واعتزاز لنا، لكن شيخ محمد أمين قد أدار وجهه وقال: أشكرك يا علي بك، لا يجوز الحضور للمسلمين إلى مكان، إلا مكان عبادة الله (محمد أمين كان مسلما" لكن كان يجب رد الطلب بأسلوب أفضل، هو بقى في مكانه، أنا مشيت خلف علي بك، عند خروجناً من الدار، لاحظت منظراً جميلاً على يمين الوادي، كانت الشموع والمشاعل فوق وتحت الأشجار، تضاء فوق الماء، فوق كل صخرة في الوادي مشعل، الإضاءة في كل غصن شجرة، فوق السطوح، في المجالس في كافة الأماكن، جدران القبب

المقدسة مضيئة بالكامل من ضوء المشاعل، لكن نضال الناس كان عند المزار المبارك أكثر، لان الأمير كان يزيد من ضوء مشعله،حضر إلى الباحة، الشيوخ والبيرانية والقوالين في مكانهم اشعلو مشاعلهم من نار مشعل الأمير، ثم الفقراء أشعلوهاً من البقية ثم خرجوا، الآلاف من الناس طوقوا النار كي يغتسلوا بالنار، كل من استطاع التقرب من النار مد يده إلى وسط اللهب ثم إلى جبينه وقلبه ليغتسل به، الرجال كانوا يغتسلون من النار المبارك مرتين، مرة لهم، ومرة لزوجاتهم، الأمهات مرتين أيضاً ، مرة لهن ومرة لأطفالهن، مهرجان ممتع في هذا الوادي، كانت نظيفة من جميع الذنوب، وادي لالش كون لنفسه منظراً سحرياً ، الآن علماء الدين الايزدية في باحة المزار المقدس كانوا جالسين صفين، الشيوخ بملابسهم البيضاء جالسين في جانب، يقابلهم القوالين، يحمل كل واحد منهم مزماراً أو تنبوراً كنت جالساً مع علي بك تحت شجرة العنب، من هذا المكان لم يكن باستطاعتي رؤية أمير الشيخان ثم سمعت صوتاً جاء من داخل القبب، مع الصوت جهزوا القوالون مزاميرهم وتنابيرهم، في البداية أتى المزمار، بصوت حزين وهادئ، بعدهاً سمعناً صوت التنبور، اختلط صوت الآلتين وقدموا أفضل لحن، بعد المقطع الموسيقي، رأيت إن أمير الشيخان قد خرج من داخل المزار، بمعيته شيخان، شيخ في مقدمته، كان يحمل تمثالا" خشبيا"، ووضع هذا التمثال في وسط الباحة، الشيخ الثاني كان حاملاً كأس من الماء، وآخر من النفط، وضع الكأسان في وسط الفناء، جاء أمير الشيخان، أشار بيده، مع الإشارة بدأ العزف الموسيقي، مع الموسيقى بدأ الشيوخ والبيرانية والقوالين بالألحان الدينية، للأسف لم يكن في مخيلتي أن اكتب نصها، لكن كلماتهم كانت باللغة العربية، وتنص على النظافة ونقاوة المعتقدات الدينية والانتباه، وبعدهاً أمير شيخان ألقى كلمة

قصيرة للشيوخ والبيرانية والقوالين والفقراء، حول الأشياء الضرورية وغسل الذنوب،ويكون بعملهم أصحاب الفضل على الناس، تأكيد الاعتقاد بالدين، الدفاع عن النفس من كل عدو، ثم جاء وجلس معنا تحت شجرة العنب، الآن احد علماء الدين جلب ديكاً حياً إلى الباحة وربطه بخيط، في يساره كان الماء وفي يمينه النار، ثم بدأ العزف الموسيقي، الديك وضع رأسه تحت جناحيه ونام على الأرض، في الوهلة الأولى لم يهتم بالموسيقى الهادئة، لكن عندما ارتفع صوت المزمار، فانه خرج رأسه من تحت جناحيه واستمع لها، نظر حوله، رأى كاس الماء، بسرعة وضع منقاره في الماء كي يشرب، معهاً ارتفع صوت الطنبور مع الزغاريد، هكذا تبين إن للموسيقى اثر في نفس الديك، لهذا قد عوج عنقه وبانتباه استمع إلى الموسيقى، لم يرى إلا هو في خطر، لأنه تقرب من النار حاول الرجوع إلى الخلف، لكنه لم يستطيع، لأنه مربوط، غضب كثيراً ، نهض باستقامته وصاح بصوت عالي، مع صوت عازفي المزمار والتنبور شدوا على العزف، غضب الديك أكثر، كانت هناك منافسة بين الديك والعازفين، الديك ضرب جناحيه وصاح مرة أخرى، العازفين هيجوا عزفهم، هذه المرة غضب الديك كثيراً ، بكل ما كان يمتلك من قوة رمى بنفسه، فقطع الخيط وانهزم نحو القبب، مع هذا العمل البهلواني، من الفرح ارتفع صوت الموسيقى والهلاهل، هكذا انتهى المنظر، في الحقيقة عازفي الموسيقى والمغنيين قد بذلوا جهداً وتعبوا، القوالين قبلوا مزاميرهم وتنابيرهم، له ثم أتت الفرصة للايزدية، كي يغير مشاعر لعالم ديني مسيحي هذا أليس منظراً جميلاً ، لكن أسباب، كي انظر مثلهم، الآن جاء وقت تقديم البرات، سابقاً تحدثت عنها، جاءناً عالم ديني عندي وعند علي بك، قدم له سبع براتات وقدم لي سبعة أيضاً ، كانوا مدورين، كتب (الشمس) بالعربية وبراس مدبب لآلة موسيقية، كانت

البيع والتعامل خارج الباحة، حينهاً كانت تسمع الأغاني والموسيقى في الداخل قمت وتركت المزار المقدس، كنت اعتقد إذاً نظر المرء إلى الوادي من التلال العالية سيرى منظراً جميلاً وساحرة، لهذا ذهبت عند خلف كي يكون معي، رأيت خلف مع بولوك أمين في مكان الجلسة، كان حديثهم ممتع، وسمعتهم يقولون.

- ماذا؟إذاً لم يكن هناك احد عاري؟

- نعم واحد عاري، الله يقطع رقبته، إذاً لم يكن هو، لكان انفي الآن موجودة.

(لم ادعه كي يكمل حديث انفه، فناديت إلى خلف، حجي خلف تعال معي)

- إلى أين يا أستاذ؟

- إلى ذلك التل العالي، كي ننظر إلى جمالية الوادي.

-أيهاً الأمير، أنا سآتي معكم (ايفراً طلب مني).

- أنت تعال أيضاً ، إلى الأمام (ذهبناً إلى التل العالي في طريق باعذرة، في كل مكان رجال، نساء، أطفال، مع المشاعل في طريقنا، الجميع سلموا علينا بكل سرور، الكثير من الإيزديين جاءوا وراءنا، كي يبينوا لناً الطريق، لكني طلبت منهم العودة، أم إن يطفأ المشاعل، من يملك الذوق الرفيع يريد البقاء في الظلام، عند وصولناً إلى قمة التل منظر لم نراه بعد، ضوء المشاعل والقناديل قد أضاء الوادي، القبب المباركة في هذه الليلة رفعوا رؤوسهم إلى السماء، يدعون من الله، الناس في مرور مستمر، يغنون، يرقصون، يطلقون العيارات النارية، لقد وقفت كثيراً مع هذا المنظر الخلاب، فرويت بهاً عيناي، وسرّ بهاً قلبي.

- تلك، أية نجمة؟(بجانبي سال احدهم صديقه) .

- أين؟ (الآخر سأله).

- انظر إلى يمينك طريق اللصوص.

- أنا نظرت إليها.
- تحتهاً تتلألىء نجمة، مرة أخرى، رأيت؟
- رأيت إنها نجمة العجوز بلا رأس (كالى بى سه ر) .
- (عندناً يقولون للنجمات الأربعة ظهر الدب والكرد يقولون بيرى بى سه ر (العجوز بلا رأس).
- إنهم يفكرون إن رأسه اختباً خلف مجموعة من النجوم المجاورة، هذه النجوم الثلاثة نسميهم ذيل الدب أو يد العربانة، الكورد يسمونهم الأخوين والأم العجوز الأعمى.
- العجوز بلا راس؟هذه أربع نجوم، إنهم قبعة الراعي.
- قبعة الراعي، إنهم في الأفق، وتلألاً مرة أخرى، آه نحن متوهمون إنهم في الجنوب إنها الميزان.
- الميزان مجموعة من النجوم يا أستاذ؟
(الآن قد وجه السؤال لي، هذا المنظر ليس شيء طبيعي، ضوء المشاعل والقناديل الايزدية قد أضاءت التلال وقممها، لذلك كان من الصعب على المرء أن يفرق بين النجوم، ضوء هذه النجوم يتضاعف، ثم يتلاشى، هذا شيء آخر،يظهر ثم يتلاشى، إنهم ليسوا بنجوم، راقبتهم جيداً ، ثم رجعت إلى خلف، حاجي خلف، اذهب بسرعة وبلغ علي بك بالمجيء إلينا، لدي عمل معه.
(خلف ذهب في الحال، تقدمت قليلاً كي أرى النجوم المتوهجة من جهة، ومن جهة أخرى الابتعاد عن أجوبة الأسئلة، الشيء المهم كان علي بك على علم بمجيئي إلى هنا، انه جاء من بعدي وقد التقى مع خلف في منتصف الطريق وجاء الاثنان معاً
- ماذا سترى لي يا أمير؟
(ومددت بيدي إلى تلك ما يسمونهم النجوم)
- ثم نظرت إلى هناك، الآن ترى نجمة ساطعة واني أرى.
- ثم اختفى، أتعرفها؟

- لا، إنها واطئة جداً ، ليست مع مجموعة (ذهبت إلى وسط الأدغال وقطعت بعض الأشجار، وغرست احد هذه الأشجار، ثم ابتعدت عنهاً بخطوات).

- خلف هذه الشجرة، اجلس على ركبتيك، سأرى سطرهاً مقابل النجمة الساطعة، اغرس شجرة، الآن سترى تلك النجمة؟

- نعم أراهاً جيداً .

- أين أضع هذه الشجرة، هنا؟

- قليلا" إلى اليمين.

- هنا؟

- نعم، جيد جدا.

- حسناً ، الآن راقبهاً جيداً .

- الآن أراهاً جيداً (قال علي بك بعد فترة قصيرة).

- أين؟ سأغرس الشجرة الثالثة؟

- تلك النجمة تحرك من مكانها، وابتعد كثيراً ، إلى جهة اليسار.

- كم ابتعد؟

- قدمين من الأشجار السابقة.

- هنا؟

- نعم (غرس العصاً الثالثة، علي بك استمر في مراقبة النجمة).

- الآن سأراه مرة أخرى (قال علي بك).

- إلى أين؟

- ليس كثيراً على اليد اليسرى، لكن على اليمنى.

- حسنا" (هذا هو الشيء الذي أردت أن تلاحظه ، الآن تستطيع القيام (هؤلاء كانوا يراقبون العمل الغريب بتعجب، لم يدركوا بالمسألة، حتى علي بك لم يعلم ما اقصده).

- لماذا رأيتني أن أراقب النجمة؟

- لأنهم إذا، نجمة.
- لكن ماذا ،شعلة؟
- لو كانت شعلة واحدة، لكانت غريبة، لكنهم مجموعة من المشاعل.
- من أين تعلم ذلك؟
- هذه ليست نجمة، لأنها واطئة جداً ، أوطأ من قمة الجبل، انظر إنها مجموعة من النيران، ارايت تجربتنا، هناك العديد من الجيادان المشاة، ذاهبين يحملون المشاعل، بعض الأحيان واحدة أو أكثر منهم يضيئون جهتناً (علي بك قالهاً بتعجب):تقول الحقيقة يا أمير.
- من هم هؤلاء؟
- إنهم ليسوا حجاج، لان الحجاج يأتون عن طريق باعذرة إلى لالش !
- هكذا فكر نحو الترك.
- أستاذ، أيجوز إنهم؟
- لا اعرف، لست خبيراً لهذه المواقع، صف لي هذا الموقع.
- انه الطريق إلى باعذرة باستقامة، من اليسار الطريق إلى عين سفني هذا الطريق يتفرع منه ثلاثة طرق، واحدة إلى اليسار إلى تلك المشاعل، إلى الماء، وهذا الطريق يصل إلى لالش.
- يستطيع المرء راكبا" يأتي بمحاذاة المياه إلى أن يصل؟
- نعم.
- كذلك بمحاذاة المياه إلى لالش أيضا"؟
- نعم.
- إذاً كانت كذلك، هنا حدث خطأ كبير.
- ما هو الخطأ؟

- انك أرسلت الحراس إلى طريق باعذرة وكلينية، لكنك لم ترسل أحداً إلى طريق عين سفني.

- الترك لا يستطيعون المجيء من هناك، لان أهالي عين سفني سيبلغوننا.

- لكن إذاً الترك لم يذهبوا إلى الجراحية، واتوا من خلال الجراحية، ومن النصيرية من الأعلى ونزلوا إلى طريق مابين لالش وعين سفني؟ إني أقول سيقطعون الطريق، التي تأتي من الضوء، انظر إنهم اتجهوا نحو اليسار.

- يا أمير(المقصود به كارابن نمزي)، ليس بعيداً أن تكون فكرتك صحيحة، سأرسل المزيد من الحراس إلى هذا الطريق.؟

- سأتقرب من تلك النجمة، كيف أدرك إنها نجمة أم لا، أتعرف أحداً له خبرة في هذا الطريق.

- زلك له خبرة أكثر من غيره.

- انه فارس جيد، يجب أن يوصلني إلى هناك، (نزلناً بسرعة من قمة التل، ما قلناً في الأخير، أنا وعلي بك كانوا بشكل واطئ، لم يكن كذلك، لا سيسمعهاً احد، باشيزوخ لم يسمع شيء، رأيناً زلك بسرعة حمل سلاحه وركب فرسه، يجب أن يأتي خلف معي، بعد عشرين دقيقة من رؤية النجمة للمرة الأولى، سلكنا طريق عين سفني، عند وصولناً إلى قمة التل الأولى، وقفنا، نظرت إلى من خلال الظلمة التي أمامنا، ثم رأيناً ذلك الضوء مرة أخرى، فقلت لزلك، ما هذه النجمة؟

- أمير، ليست نجمة، ليست مشاعل، انه ضوء كبير، إنها فوانيس.

- يجب أن اذهب إلى راس الطريق، انك خبير في هذا الطريق؟

- سأوصلك إلى هناك، إني اعرف كل صخرة، كل شجرة، اتبعني، اتجه يساراً نحو الماء عبر الصخور والأدغال إلى الأمام، ركبت بسرعة، بعد ربع ساعة رأيناً ذلك الضوء بشكل

واضح، وبعد ربع ساعة أخرى، اختفى الضوء خلف التل الذي أمامنا، عندما وصلنا إلى التل ونظرنا أمامنا، رأيناً في هذه المرة بوضوح، بان هناك مسيرة حاملي الفوانيس، من هم، من الذي رتب هذه المسيرة (القوافل)، هنا المرء لا يعلم، لكن هذا الضوء اختفى نهائياً في هذه اللحظات فجأة.

- هل يوجد تل آخر هناك؟

- لا، قد وصلنا إلى السهل.

- أم هناك هضبة أو وادي قد اختفى خلفه هذا الضوء؟

- لا.

- أو غابة.....

- نعم يا أمير (انه فكر بسرعة) الجهة التي اختفى فيها الضوء – هناك غابة من أشجار الزيتون.

- آه، أبقى هنا مع الفروس، كناً في انتظار ليأتي خلف معنا.

- أستاذ، خذني معك (طلب زلك).

- سيكشفوننا ومعنا الفروس.

- سنربطهم.

- فرسي غالي الثمن لا أستطيع تركه بدون مراقب، كذلك لا تعلم كيفية الدخول إليهم دون علمهم، سيسمعونك، أو سيلاحظونك.

- مير، اعرف هذه الأشياء.

- بلا صوت (قال خلف) كنت اعتقد إني أستطيع أن اذهب باختفاء، عند الناس، لكن لم تكن كذلك.

- فقدت أفضل فرساً لي، وتقدمنا، أي، أصبحت كطفل خجول، اشكر الله انه لم يخلقك ضبعاً .

(تركناً بنادقنا عند زلك وتقدمنا ،كان ضوء القمر ينير الدرب لمسافة بحيث يمكنك رؤية صاحبك على بعد خمسين خطوة) .

- بعد عشرة دقائق، تبين لناً نقطة مظلمة، ازدادت خطوة بعد خطوة، إنها غابة الزيتون، تقربناً إليها إلى درجة بإمكاننا الوصول إليها بعد خمسة دقائق، ووقفت هناك، ثم أصغيت إلى هناك، فلم اسمع أي شيء.

- اتبعني لنتسلل.

(كنت لابساً قمصلة وبنطلون، كاناً بلون اسود، ولبست قبعة، مربوطة ً بيشماغ، لم يكن باستطاعتهم رؤيتي على الأرض بسهولة، خلف أيضاً كان مثلي، بدون صوت إلى الأمام، سمعناً يقطعون الأشجار، تمددناً أرضاً ، ثم تقدمناً زحفاً ارتفع صوت تقطيع الأشجار، إنهم يجمعون الأشجار لإشعال النار).

- يا أستاذ، هذا أفضل لناً (قال خلف بصوت خفي).

(عند وصولناً إلى حافة الغابة، سمعناً بوضوح صهيل الجيادان وصوت الناس، اختبأناً خلف صخرة كبيرة، قلت لخلف بهدوء، اختبئ هنا وانتظرني

- أستاذ، لن أتركك، سآتي وراءك.

- سوف ينكشف أمري، المرء عندما يذهب بخفية عبر الغابة، أصعب من المرور في السهل عندما تكون معي، فقط لتساندني، اختبأ هنا، لا تتحرك من هنا، لحين أناديك، وحينماً أناديك تعال بسرعة.

- في حالة، لم تناديني، لم أتيك؟

- بعدهاً بنصف ساعة ازحف على بطنك وتعال، كي تعرف مصيري.

- أستاذي، إذاً قتلوك، سوف اقتلهم جميعا".

(بعد هذه الطمأنينة، زحفت نحو الأمام، لكني لم أكن بعيداً عن خلف، سمعت صوتاً يأمر بإشعال النيران، هذا الصوت كان يبعدني مسافة مئة قدم، خوف من ، لم استطع التقدم بعدها،

سمعت صوت احتراق الأشجار، ثم رأيت نوراً خرجت من بين الأشجار واتت نحوي وأشرقت بنورها، هذا النور عرقل عملي.

أحيطوا النار بالأحجار، (صدى أمر آخر، فعلوا بماً أ مروا، ثم ضعف النور، سنحت لي الفرصة، للزحف نحو الأمام، زحفت من وراء الأشجار شجرة تلوى الأخرى، إلا أن تأكدت إني في مكان مأمن من الرؤيا، كنت سعيد الحظ، هذه الطمأنينة كانت زائدة، لم أرى نفسي إني في غابات الحيوانات المفترسة الأمريكية، كذلك هؤلاء الناس مقابلي لم يدركوا بان أناس سيأتون لسماعهم، تقدمت أكثر إلى أن وصلت إلى شجرة ذو جذع وجذور يخاف المرء الاختباء خلفهاً بالقرب مني، لأنه يوجد تحت نفس الشجرة ضابطين تركيين جالسين، مع قليل من الانتباه استطعت تبديل نفسي والاختباء فيها، الآن أستطيع ملاحظة المنظر جيداً ، خارج هذه الغابة الصغيرة، نصبوا أربع مدافع جبلية، قد يكون أكثر، حول الغابة ربطوا عشرون بغلا"، يبدوا إنهم حملوا هذه المدافع على ظهور البغال، لحمل كل مدفع يحتاج إلى خمسة بغال، واحدة لحمل الأنابيب وأخرى للأسفل، واثنين إلى أربعة لحمل القذائف وصناديق الأعتدة، أعداد المدافع تمددوا للاستراحة والحديث، لكن الضابطين أراداً تناول القهوة وتدخين غليونتهم، لأجل ذلك أشعلوا النار، ووضعوا تحت القدر الصغيرة بعض الأحجار، كنت قريبا" منهم، ما سمعت منهم من الأخبار لا تبشر خيراً للإيزديين.

- لدينا أفضل المدافع (قال رئيسهم).
- إنها مدافع جيدة (رد عليهم الملازم).
- سنقتلهم جميعاً .
- الجميع (صدى صوت آخر).
- سنحصل على غنائم كثيرة.
- الكثير من الغنائم.
- يجب أن نكون أذكياء وشطار.

- سترتفع رتبناً العسكرية.
- سنترفع كثيراً .
- بعدهاً ندخن تبغ شيراز. التبغ الفارسي.
- تبغ شيراز .
- بعدهاً سنتناول القهوة العربية.
- قهوة موكاً التركية.
- يجب أن نبيد الإيزديين.
- جميعهم مرة واحدة.
- هؤلاء قذرون ومشاكسون.
- هؤلاء الحيوانات.
- هؤلاء القذارة بلا حيا.
- هؤلاء الكلاب .
- سنقتلهم.
- غداً صباحاً .
- بالتأكيد إنهم يستحقون الموت(الآن سمعت ما أردت، سأتراجع خلفا"، أولاً ببطء وحذر، ثم بسرعة، ثم قمت على قامتي وذهبت، حينماً وصلت عند خلف تعجب، من هم يا أستاذ !
- عداد المدافع، تعالى ليس لدينا الوقت.
- نذهب على قامتناً سيرا".
- نعم (وصلنا إلى جيّادناً وركبناً واستعجلناً بالسير نحو لالش، هذه المرة قصرناً الطريق نحو لالش ورأيناً الازدحام في الوادي، سمعت بان علي بك ذاهب إلى باحة المزار المقدس وأمير الشيخان هناك أيضا" فذهبت إلى هناك، عندما راني علي بك تقدم نحوي وأجلسني عند أمير شيخان.
- ماذا رأيت (انه سألني).
- مدافع.
- آه (أدهش) كم عدد المدافع؟

- أربع مدافع جبلية صغيرة.
- ما قصدهم؟.
- يقصدون ضرب الوادي بالمدافع، في نفس الوقت سيهجم المشاة من باعذرة والكلينية على لالش، بالتأكيد إنهم سيستخدمون المدافع عند الماء، خطتهم ليست ضعيفة إنهم هناك.
يعلمون بالوادي، يستطيعون الجذب نحو الوادي، سيجلبون المدافع من خلال هذه التلال دون رؤية احد، بمساعدة المشاة يستطيعون جلب المدافع من هناك إلى هنا خلال ساعة.
- إذاً ماذا نفعل يا أمير؟
- اعطني ستين فارساً بسرعة مع بعض الفوانيس، كن على ثقة، سأحضر لك مدافع مع عددهم هنا خلال ساعتين.
- ستلقي القبض عليهم؟
- سنأسرهم؟
- سيكون بمعييتك مئة فارس.(قال علي بك)
- بسرعة هياً ثمانين فارساً ، انتظرهم عند الماء، رجعت عند خلف وزلك.
- ماذا سيفعل علي بك (قال خلف).
- لم يفعل شيء، نحن سنفعل ما تريد أن نفعله.
- ما هذا يا أستاذ؟ أراك تضحك أرى من وجهك، ستجلب مدافعهم.
- أريد جلب المدافع بدون نزف الدم، لأجله سيكون بمعييتي ثمانون فارساً (خرجناً من احد منافذ الوادي)هناً لم ننتظر الجيادان كثيراً ، أتوا بسرعة، بعثت زلك مع عشرة رجال أمامي، وذهبناً بمسافة خلفهم، دون أن نرى عدوا في طريقنا، وصلنا إلى التل الذي فيه ينتظرناً زلك، إنهم نزلوا من التل، في الوهلة الأولى، الرجال حرسوا أمتعتنا، ثم عينت عشرة منهم لحماية الفروس، وقلت لهم لا يجوز التحرك من هنا دون

علمي، أما نحن الباقون فزحفناً متخفين نحو غابة الزيتون، وصلنا إلى نقطة المراد الوصول إليها ووقفناً وتقدمت بمفردي نحو الأمام هذه المرة أيضا" دون صعوبة وصلت إلى مكاني القديم تحت جذع الشجرة، رجال الترك جميعا" مجتمعين ويداولون الأحاديث، انتظرتهم كي ينامون، لكن من اجل معركة غد لا تغمض لهم عين، أحصيناهم جميعاً مع الضباط ورتب الضباط، أصبحوا أربع وعشرون شخصاً ، رجعت إلى رفاقي.

- حجي خلف وزلك، اذهباً واركباً فرسيكما، ولك فروسكم، ، تعالوا إلى وسط الجيش التركي من جهة الثانية للغابة، إنهم سيأتون إليكم، قولوا لهم نحن حجاج، قطع عناً السبيل ذاهبين للعيد في وادي لالش، سيأخذونكم إلى عندهم، والباقي من هنا اذهبوا والبقية قسمتهم إلى صفين، واحد وراء الآخر، قلت لهم وأجبكم تطويق الجهات الثلاثة للغابة وزودتهم بمعلومات قيمة، زحفت على بطني، ووصلت مكاني المعتاد قبلهم بدقيقتين في جذع الشجرة، حينماً وصلت المكان، كنت اسمع صوت أرجل الجيادان، والنيران مشتعلة، لهذا استطعت أن القط الصورة واضحة، قبل مجيئي كان الضابطان منشغلان بالشرب والتدخين.

- وادي لالش عش قذر (سمعت من الضابط الكبير).
- كثير القذارة (أجابه الملازم).
- الإيزديين يعبدون اله الشر.
- يعبدون إله الشر، يا الله اكسر رقبتهم.
- عظامهم ورقبتهم وتمزيقها.
- سوف نطحنهم.

(إلى هنا سمعت حديثهم، لأنهم سمعوا أصوات الجيادان، الملازم رفع رأسه وقال:

- لقد أتوا إلينا بعض الأشخاص، الضابط الكبير كان يصغي له.

- من سيكونون !

- فارسان، سمعت صوتهم (انهضوا، الجنود أيضاً مثلهم ابتعدوا عن النار عندهاً ظهر زلك، استقبلهم الضابط الكبير وخرج سيفه من الغمد من انتم (لقد ناداهم)

الجنود طوقوا زلك وخلف، خلف صغير فوق فرسه، توجه نحو الضابط الكبير، ما كنت أفكر، الضابط الكبير، فكر بنفس الفكرة أيضاً .

- لقد سألتكم من انتم (قال لهم الضابط الكبير).

- نحن بشر (أجابه خلف).

- انتم من أي بشر؟

- نحن رجال.

- من أي رجال.

- نحن فرسان (إله الشر يأكلكم، اجبني أفضل، وإلاً سنضربكم ضرباً مبرحاً ، من انتم؟

- نحن إيزديين (أجابه زلك بصوت منخفض)؟

- انتم إيزديين؟ اها، من أين جئتم؟

- نأتي من المكة.

- تأتون من المكة، الله الله، الإيزديين موجودين هناك.

- ما يقارب خمسمائة ألف.

كثيرين، الله كريم، انه أبقى الحشيش التالف مع الحنطة، أين ستذهبون؟

- سنذهب إلى معبد لالش.

- لماذا تذهبون إلى هناك؟

- سنحتفل بمناسبة العيد الكبير.

- أدرك ذلك، إنكم مع إله الشر سترقصون، في نفس الوقت ستقيمون الصلاة للديك الذي عمل عشه في الجحيم، ترجلوا من خيولكم، انتم أسرى عندي.

- نحن أسرى، ماذا فعلنا؟

- انتم أبناء إبليس، سنضربكم، كي ترون آباءكم بعيونكم، ترجلوا من الخيول.

(القوا القبض عليهم، لم يبقى شيء وينزلونهم عنوة من خيولهم)

- أعطوا لناً سلاحكم، (أدرك إن خلف لا يفعل وخاصة في هذا الوقت المحرج، خلف نظر إلى جهة النار، فرفعت راسي لأعلمه، كي يطمأن كذلك سمعته بعض الخشخشة الهادئة، فعلم إنهم رجالي، وقد طوقوا رجال الترك.

- نسلم سلاحناً لكم (سأله خلف) اسمعني يا يوزباش، أتسمح لي أن أقول لك شيئاً .

- ما هو؟

- سأقول لك وللملازم فقط.

- لا أريد أن اسمع منكم شيئاً .

- انه شيء مهم، مهم جداً .

- حول أية شيء؟

- اسمع (سمعه خلف في أذنه بعض الكلمات، الكلمات أخذت مكانهاً مباشرةً، الضابط الكبير تراجع بعض الخطوات، وفكر بكلمات خلف، بعدهاً أعلمت، قال خلف، حول جعبكم، إنها النقود.

- أنت تقول الحقيقة (قال الضابط).

- أنا لا اكذب !

- إلا تقول لأحد؟

- إلى الموت لا أقول لأحد !

- اقسم لي.

- بماذا اقسم لك؟

- بالله ولحية..... لا، لا، انتم ايزدية، اقسم لي بإبليس، الذي تعبدونه.

- حسناً ، لو قسمت به، هل هو يعلم بذلك انه لحين الموت لن يعلم به أحد؟

- نعم سيكسر ظهرك، إذاً كذبت، تعال يا ملازم، تعالوا انتم الاثنان (الأربعة أتوا عند النار، سمعت كلام كل واحد منهم).

- الآن تكلموا (قال الضابط الكبير).

- أطلق سراحنا، سنعطيك النقود.

- عندكم نقود؟

- نعم لدينا نقود.

- إلا تعلمون، هذه النقود لنا، كل ما تملكون هي أشيائنا.

- لا نمتلك شيء، نحن جئناً من مكة، الذي يتجول هكذا، يدرك جيداً كيف يخبأ نقوده.

- سأبحث واكشف.

- لن تستطيع كشفها، حتى ولو تقتلنا، لو تبحث ما بين أمتعتنا، لن تكشفه، الايزدية، لديهم خطط جيدة، يخبئون بهاً أشياءهم، ولا يستطيع احد كشفها.

- الله يعلم بكل شيء.

- لكن لست الله.

- لن ادع سبيلكم.

- لماذا؟

- انتم ستكشفون خطتنا.

- سنكشف خطتكم، كيف؟

- إلا ترونناً هنا، كي نخوض معركة؟

- نحن لا نقول لأحد.

- لأنكم ذاهبون إلى لالش.

- لا يجوز الذهاب إلى هناك.

- لا.

- حسناً ، أرسلناً إلى جهة تود ذلك.

- أتريدون الذهاب إلى بعويزة، وابقوا هناك يومين؟
- نريد.
- إذاً نطلق سراحكم، كم ستدفعون لنا؟
- كم تطلب منا.
- كل واحد منكم خمسة عشرة ألف قرش، سنطلق سراحكم.
- أستاذ، نحن حجاج فقراء، لا نمتلك هذا المبلغ.
- كم تملكون؟
- نستطيع دفع خمسمائة قريش.
- خمس مائة تريدون مخادعتنا.
- نستطيع جمع ستمائة.
- ادفعوا اثناً عشر ألف. اقل لا يجوز.اقسم بمحمد لن اترك سبيلكم. ولن اترك عظماً غير مكسور في جسمكم . إذاً لم تجلبوا لناً النقود.قلتم قبل الآن.لديكم خطه لحفظ النقود لا يعلم احد بالتأكيد لديكم أموال كثيرة وسأكشف هذه الخطة أو الطريقة التي تحفظون بهاً النقــود (فعمداً خلف تظاهر بالخوف).
- يا أستاذ إلا تستطيعون تخفيض المبلغ.
- لا.
- حسناً . سندفع المبلغ.
- أيهاً القذارة أدركوا كم من النقود تحملون. الآن لا ارضى باثناً عشر ألف.ستدفعون خمسه عشر ألف كما قلت للمرة الأولى.
- عفوا أستاذ.انه مبلغ قليل .
(الضابط الكبير نظر إليهم بغضب)
- ما قصدك أيهاً الرجل؟
- ما اقصد كل واحد مناً يساوي أكثر من خمسة عشر ألف قريشاً من فضلك ندفع خمسين ألف قريش
- أصبحت مجنوناً يا رجل؟

- أم مئة ألف (تعجب الضابط ونظر إلى الملازم وقال الملازم ماذا تقول انه فتح فمه وقال الحقيقة

- يبدو إن هذا الرجل ثري (مره أخرى نظر إلى خلف)

- أين نقودكم

- من الضروري أن نعلم بذلك

- نعم

- واحد معنا هو سيدفع المبلغ. لكن لا تستطيع رؤيته

- الله يسترنا.قصدك إله الشر

- أتريد أن يأتي

- لا لا. لم اتمنى مرة رؤيته. لست ايزدياً .لاً أستطيع التحدث معه. لم يبقى شيء أموت من الخوف

- أنت لا تخاف منه لأنه سيرى نفسه لك على هيئة البشر

انه جاء وخرج من وراء جذع الشجرة، بخطوتين سريعتين وقفت أمام الضابطين من الخوف تفرقاً الضابطين عن بعضيهما، نصب واحد يميناً والآخر نصب يساراً ، ولكون لون غير مخيف' الاثنين توقفاً وفكروا فيه صامتين

يوزباشي (تكلمت معهم) ما قلتم هذا المساء لقد سمعتهاً قلتم معبد لالش عش قذر وقلتم الله يكسر رقبتهم، الله يطحنهم.

- آه، آه (خرج منهم هذا الصوت)

قلتم إن الإيزديين كلاب – قذرين – مفسدين. سوف نحصل على غنائم كثيرة من الخوف طار نصف روح الملازم من خوف اليوزباشي لم يستطع أن يقول شيء.كان يهضم خوفه

بعدهاً أردتم بدعوة الاباده.كي تدخنون تبغ شيراز.

انه يعلم باشياءناً (قال يوزباشي بخوف)

نعم اعلم بكل شي عنكم.سآخذكم. أتعلم إلى أين؟

- وهز رأسه بنعم

- إلى لالش عند القذرين، عند الذين تودون قتلهم. الآن سأقول لكم.ماً قلتم لهذين الرجلين.قلتم، انتم أسراناً (الجنود لم

يكن لهم العلم بالموضوع.لأنهم كانوا بعيدين عنا، إن الإشارة التي أنهيت بهاً كلامي كانت تكفي. الايزدية اكتشفوا أنفسهم وأحاطوا بهم لم يتذكر احد منهم بالدفاع عن أنفسهم. أصبحوا مندهشين. الضابطان أحسوا بأنفسهم أنهم في وضع خطر رفعوا أحزمتهم.

- أوقفوا.لاً يتحرك احد. هددتهم، سحبت مسدسي بيدي الذي يمد يده إلى سلاحه سأقتله

- من أنت؟ (سألني يوزباشي. وتعرق جسمه)

- أنا صديقكم. أنا لا أريد أن تقتلون على يد الإيزديين. اتركوا سلاحكم

- مازلناً بحاجه إلى السلاح

- لأي شي؟

- لندافع عن المدافع (هذا جواب كان مضحك) لم يبقى شيئاً إلا وان ارتفع صوت ضحكي لكن سيطرت على نفسي وأخمدته

لاً تهتموا سنحافظ على تلك المدافع (تباحثوا مع البعض قليلاً .ثم نزعوا أسلحتهم)

ماذا ستفعلون بناً (سأل يوزباشي مهموما")

هذا يتوقف عليكم.إذ كنتم من السامعين لم نفعل بكم شيئاً إذاً لا ليس بعيداً نقتلكم

- ماذا يجب علينا فعله؟

-أولاً ًأجيبوا على أسئلتي بالحقيقة

- اسأل

- يوجد بعض العساكر سيأتون وراءكم؟

- لا

- انتم الذين هنا فقط

- نعم

ميرئالاعمر أماد، لحد الآن ليس له دور فعال. الآلاف من المقاتلين المسلحين يتواجدون في وادي لالش. لتقابلونهم.

شخصاً مع أربعة مدافع. كان من المفروض أن يكون بمعييكم واحد ميرئالاً مع مائتي جندي مشاة للحفاظ على أرواحكم. يبدو انه اعتقد بأنه سيلقي القبض على الايزيدية ويقتلهم كالذباب بسهولة – انه بماذا أمركم؟

- يجب إيصال المدافع إلى عند الماء بالاختفاء.

- بعدهاً

- بعدهاً بنصف ساعة.سنقرب أنفسناً إلى معبد لالش.

- استمر في (القول)

- هناك سننتظر الرسول. ثم نذهب إلى باب الوادي وسنضرب الإيزديين بالمدافع.

- تستطيعون أن تتقدموا. وتصلون إلى باب وادي لالش أيضاً لكن البدء بالمعركة ليست بأيديكم (الآن بلا دفاع الترك جميعاً سلموا أنفسهم إلينا، واتوا الإيزديين وساقوهم أمامهم، وحملوا المدافع الأربعة على البغال العشرين، ذهبنا مشياً لحين الوصول إلى جيّادناً وركبناً تم توجهناً إلى معبد لالش قبل وصولناً إليها بنصف ساعة، وضعناً المدافع هناك وتم حراستهم بعشرين مسلح. هذا هو مكان الذي يبعث ميرئالاً عمر ببولوكه إلى هناك عند وصولناً الى باب وادي لالش شاهدناً في انتظارناً مجموعة كبيرة من الأشخاص أنهم كانوا على علم بذهابناً لهذا كانوا مجموعه كبيرة من الحجاج بانتظارناً كي يعلموا، ماذا حدث، لهذا منع الرمي في الوادي، كافة الأماكن كانت هادئة

إذاً أطلقت طلقة واحدة بيننا وبين الترك لكانوا على علم بذلك أول من استقبلني هو على بك.

- أخيراً أتيتم(قال علي بك بصوت واطىء ومحزن) لكن بلا مدافع. هنالك نقص في عدد الرجال

- لا يوجد نقص في عدد الرجال ولا يوجد ولو جريح واحد

- لكن أين هم

- عند زلك وخلف إنهم يحرسون المدافع

- لماذا؟

- قال لي يوزباشا، ميرئالاً سيبعث رسولاً عندهم في مكان الذي وضعت فيه المدافع، بعدهاً يتقدموا ويضربون لالش بالمدافع، لديك رجال يجيدون استعمال المدافع؟

- لدينا ما يكفي

- حسناً ، ليغيروا ملابسهم مع الترك، عند وصول الرسول يتم القبض عليه، وعند تقرب الترك، عليهم إطلاق مدفع واحد كأشارة وسنسحب العدو إلى داخل الوادي، وماذا نفعل بالأسرى؟

- سآخذهم بسرعة من هنا، ونحرسهم برجالناً

- سترسلهم إلى وادي إيدز؟

- لا، لا يجوز لأحد معرفة هذا المكان غير الايزدية، يوجد كهف يكفيهم سنضعهم فيه ويتم حراستهم، (في دار علي بك قد حضروا لناً مآدبة لذيذة، لم يحضر علي بك ستحضر زوجته لخدمتنا، لأنه سيذهب لتبديل ملابس الترك مع رجال الايزيديين، والذين يلبسون الملابس التركية سيتم إرسالهم عند المدافع، عندما جاءني علي بك، النجمة قد تحول نحو الاصفرار

- أنت حاضر للذهاب ياامير؟ قال لي علي بك

- إلى أين؟

- إلى وادي إيدز

- اجازة منك أن أبقى هنا

- أتريد أن تحارب بجانبنا؟

- لا

- أتريد أن تكون معنا فقط لترى المعركة وبطولاتنا؟

- لا أكون معكم أيضا" سأكون هنا في لالش

- أستاذ، ماذا تعتقد؟

- اعتقد بالتي هي الصواب

- الترك سيقتلونك

- الترك لا يقتلونني أنا في ظل سلطان ووالي الموصل
- لكن انك رفيقناً وأسرت أعداد المدافع وهذا يكفي لقتلك
- من سيقول هذا للترك؟ أنا هنا مع خلف وباشبزوخ - ايفراً
- ليس بعيدا" أن يكون بقائي هنا، أكثر نفعاً لكم، ولهذا لا أحارب إلى جانبكم.
- تقول الحقيقة يا مير، لكن ليس بعيدا" عندما تبدأ المعركة أن تجرح أو تقتل.
- لا اعتقد ذلك لأنني سأخبئ نفسي في حجرة (في هذه الأثناء فتح الباب صعد رجل، انه من رجال الذين وضعه علي بك في طريق الترك).
- يا سيدي (قال لـ علي بك) لقد تراجعنا، الترك الآن في باعذرة وبعد ساعة سيصلون إلى هنا
- ارجع، وقل لرفاقك، ليكونوا دائما" قريبين من الترك، لكن لا تظهرون أنفسكم للترك (خرجناً من الدار، النساء والأطفال مستمرين بالمرور نحو وادي إيدز، أتى مبعوث آخر وكان مسرعا" ويتنفس بصعوبة وقال: يا سيدي، لم يبقى الترك سيعبرون الكلينية، يأتون عبر الغابات، بعد ساعة سيكونون هنا.
- سدوا الجهة الثانية من الوادي، عندما يأتون، تراجعوا، رفاقكم في أسفل الوادي سيكونون في انتظاركم، رجع ذلك الرجل وذهب، بك اختفى قليلاً ، بقيت أمام باب الدار وأشاهد الطوابير المارة من أمامي حينماً تختفي النساء والأطفال خلف المعابد المقدسة، الرجال الجيادان والمشاة كانوا وراءهم متسلسلين لكنهم لم يختفوا خلف المعابد المقدسة بل كانوا ينظرون إلى باعذرة والكلينية، وكانوا يصعدون الأماكن العالية كي يفسح المجال والطريق للعبور إلى داخل وادي لالش، إحساس غريب، واستقبل هذه المناظر في الظلام، انطفأت، شعلة وراء شعلة، فقط على المقابر المقدسة.المزارين العاليين

إلى السماء كانتاً منورتين، بقيت لوحدي، جميع المقربين لعلي بك قد رحلوا، بولوك أمين مازال نائما" في مكانه، لم يرجع خلف بعد، كنت في ذلك التفكير، عند سماعي لأرجل الجيادان، لم يمر وقت وقد حضر أمامي خلف، رمى نفسه من الجياد، عندهاً سمعت صوتين للتقطع من الأسفل

- ما هذا الصوت يا خلف؟

- إنهم يقلعون الأشجار. آمر علي بك بقلع تلك الأشجار كي لا يختبأون وراءهاً الترك ويتم ضربهم بالمدافع من قبل أعداد المدافع.

- عمل عقلاني، أين البقية من الرجال العشرين.

- علي بك تركهم في حراسة المدافع مع ثلاثون آخرين لمساعدتهم، ليكونوا سند لأعداد المدافع.

- حسناً ، المجموع أصبحوا خمسين، يستطيعون التصدي للهجوم.

- أين الأسرى؟ (سأل خلف).

- تم إجلاءهم من هنا تحت مراقبة الحراس.

- هنا تبدأ المعركة؟

- نعم.

- سنبقى هنا، لنرى الأتراك عندما يقعون في الفخ.

- فرح خلف بهذه الفكرة، بالرغم من عدم قناعته بالمكان، كان يود القول: إن بقاءناً هنا اخطر من المشاركة في المعركة.

- أين ايفراً (سال خلف).

- انه نائم في مكانه.

- انه يحب النوم كثيراً يا استاذ، لهذا مسؤله قد سلمه حمار يأتي نهيقه طول الليل انه يعلم بحدوث شيء ما

- أنا لا أصدق، كذلك لا يعلم، كم هو دورناً في العمل (رأيناً رجوع علي بك، لأخذ فرسه أخذ يتوسل لي، للذهاب من هنا لكن دون جدوى، انه كان يود بعدم بقائي في هذا المكان، لخوفه

علي.ثم كرر قوله لا سامح الله لو حدث لك شي، سأقتل جميع الألف وخمسمائة رجل تركي، أخيراً طلب مني، بتعليق منديل ابيض كبير الموجودة في الدار اربطه على الرفوف المقابلة للباحة، كي يرى من بعيد ويبين له إني بسلام، وإذاً نزعتهاً يعني إني في خطر، الآن امتطى فرسه ورحل، أضاءت الدنيا، انفتح السماء، عندما تنظر إلى الأعلى تستطيع احتساب فروع الأشجار وتفرق بينهم، مقابلناً في جهة حائط الوادي، سمعناً طب طب لأرجل فرس علي بك ببطء، مترجمي قد تركني أيضاً ، بقيت أنا وخادمي في هذا الوادي الخالي من البشر، والذي كان مزدحماً بالناس، انه حقيقة، هذا الوادي الصامت ونحن وحيدين، أم إني لا أسمع شيء، ثم سمعت صوت صدى عند مزار الشمس، ظهر شخص طويل، دار حوله ثم راني فأتاني، لحيته الطويل السوداء نازل على صدره، شعر رأسه ابيض متدلي على كتفيه كالثلج، انه بيركمك لقد عرفته، أمازلت هنا؟ (سألني، عندما وقف مقابلي وبصوت فيه نوع من الصلابة) متى ستصل إلى الآخرين؟

- سأبقى هنا
- ستبقى هنا، لماذا؟
- سأفيدكم هنا، أكثر من مكان آخر.
- هذا يجوز يا أمير، لكن يجب أن ترحل من هنا
- وأناً أيضاً أسالك، أنت متى ستذهب وراء الآخرين؟
- سابقي هنا
- لماذا؟
- إلا ترى هذه الكومة من حطب الأشجار (أجابني بانزعاج) إنها سبب بقائي هنا.
- لماذا هذه الكومة من حطب الأشجار؟
- حان الوقت، لأقدم ضحية هنا، لهذا تركت كومة حطب الأشجار على بعضها.

- الترك لا يقبلون بتقديم هذه الضحية.

- إنهم بأنفسهم يقدمون لي بتك الضحية، هذا اليوم هو أفضل يوم في حياتي (عرفت ما يقصده لكني تجاهلت وسألته، إلا تود اليوم أن نتحدث عن كتابك، الذي سلمني علي بك أمانة.

- هل أنت مسرور بها، تستفد منها؟

- مئة بالمئة

- يا أمير، أنا عجوز فقير، لي ثلاثة أشياء فقط.

- الأولى حياتي سأعودها إلى ربي الرحمن مرة أخرى، والثانية ملابسي سأحملهم معي إلى تحت التراب، والثالثة كتابي سأقدمه لك هديه مني، كي تتحدث روحك مع روحي عندما تفرقنا الحدود، الزمان، الجبال، البحار (هذا أفضل قول في المشرق، أم انه أحس بقرب المنية منه؟)

- انتابتني رعشة، لم استطع أن أحرر نفسي منها، قلت له: بيركمك هديتك هكذا كبيرة لا أستطيع أخذها؟

- أمير، أنا احبك خذ هذه الهدية، عندما تلاحظ تلك الكلمات التي كتبتها بيدي عندها فكر بالكلمة الأخيرة، التي كتبها بيدي في هذا الكتاب فيها تاريخ الدم الايزيدي (لم استطع قول شيء آخر بقى لدي فقط أن اقبله.)

- إني أشكرك يا بير كمك وأنا احبك أيضا عندما اقرأ كتابك ستصبح صورتك أمامي ،أقاويلك تأتي إلى سماعي، الآن يجب أن تترك لالش قبل تأخر الوقت، انظر إلى المزار المقدس في داخله القبر المبارك انه تعرض للمضايقات كثيراً ، تعرض للموت ، لكن لم يهرب مرة واحدة ،ألم يذكر في كتابكم، يجب عدم الخوف من هؤلاء الذين تموت أجسامهم فقط، سأبقى هنا، إني اعلم بان العثمانيين لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً ، وإذاً قتلوني وهذا لا يجوز؟ تصعد قطرات دمي إلى الشمس؟ لن تموت الشمس، ستبعث بأشعتها من جديد، أليس للموت باب الإضاءة في عام النظافة (النقاوة) هل سمعت من الإيزيديين بان

الشخص الفلاني قد مات؟ انهم يقولون إن الشخص الفلاني تناسخ روحه (تقمص روحه)، لأنه لا موت، لا قبر، فقط الحياة، عداً الحياة لا يوجد شيء آخر، لهذا أتصور سأرى الحياة مرة أخرى، (بعد هذه الأقوال بير كمك ذهب بسرعة إلى وراء جدران المعبد المقدس ودخلت إلى الغرف، المكان الذي يرقد فيه بولوك أمين، سمعت خلف وايفراً يتحدثون مع بعضهم)

- بقيناً هنا وحيدين برعاية الله (سمعت هذا السؤال)

- نعم

- أين البقية، أين ذهبوا هؤلاء الناس المزدحمين؟

- من يعرف؟

- لماذا ذهبوا؟

- هربوا.

- من من؟

- من أجلكم.

- من اجلي حاجي خلف عمر، لا أفقه ما تقول.

- حسناً ، سأوضح ذلك.

- إنهم هربوا من متصرفكم ومن ميرئالاً العائد لكم.

- لماذا من اجلهم؟

- لان ميرئالاً عمراماد، سيهجم على لالش.

- الله اكبر، يد المتصرف بهذه القوة، قل لي، هل أبقى تحت يد أمير كارابن نمزي، أم أساعد ميرئالاً في المعركة؟

- يجب أن تبقى معنا.

- الحمد الله، هذا أفضل، كي أستطيع أن أحافظ عليه.

- أنت؟متى حافظت عليه؟

- كل الأوقات، منذ ذلك الحين، منذ أن أتى تحت ظلي.

(ضحك خلف وأجابه)

- نعم أنت ذلك الرجل، أتعلم من يحافظ على المير؟

- أنا !

- لا أنا !

- الم يضعه المتصرف تحت مراقبتي.

- أليس هو نفسه، وضع نفسه تحت ظلي؟ ايهما محترماً أكثر كارابن نمزي أم متصرفك اللاشيء.

- خلف عمر لا تطول لسانك، إذاً قلت ذلك في مسمع المتصرف؟

- هكذا تعتقد، أني أخاف منه؟أناً حاجي خلف عمر بن حاجي أبو العباس ابن الحاجي داود الكوساري.

- أنا ايفرا، تابع إلى (باشبزوخات)الأبطال، العائد إلى السلطان، نظراً لأعمالي البطولية منحت رتبة بولوك أمين، فقط العشائر والسلالة هي همك، لكن باشا والدولة العثمانية هي همي أيضاً .

- أريد أن أدرك ما فائدتك من هذا الهم.

- ما الفائدة ! سأقول لك، راتبي الشهري 25 قرش، يومياً كيلوين خبز، 70 غم لحم، 2 غم زبدة، 5 غم رز، 1 غم ملح، غرام ونصف مخلوط، عداً الزيت والصابون والأحذية.

- لهذا تقوم بهذه الأعمال البهلوانية؟

- نعم، كثيراً جدا، كبيراً جدا.

- أريد أن أراه.

- ماذا؟أنت لا تصدق !

مثال، كيف فقدت انفي، هذه في معركة بين الدروز والمارونية حدثت في جبل لبنان، تم إرسالناً إلى هناك، لتطبيق السلام والقانون هناك، في معركة من المعارك، وقعت في أيدي الأعداء فضربوني بالعصا، احد الأعداء لزم راسي ورفعه، أردت إرجاع نفسي، لحظة رأيت قد ضربني (مكوار)، بدلاً أن يضرب رأسي ضرب انفي ، ما هذا؟

- نعم، ما هذا؟ هذا صوت المدفع؟

(خلف قالهاً مباشرة، انه صوت مدفع، لم يدع بولوك أمين لإكمال قصته، هذه إشارة من عداد المدافع لنا، إنهم قبضوا على مبعوث ميرئالا، كذلك إشارة لتقرب عسكر الترك، خادمي الاثنين، بولوك أمين وخلف نهضوا بسرعة واتوا إلي)

- يا أستاذ، لقد بدأت المعركة (قال خلف ويده على زناد المسدس)

- بدأت معركة المدافع (قال ايفرا)

- حسنا، ادخلوا جيّادناً إلى الداخل، بعدهاً تعالوا إلى فناء المعبد المقدس.

- أجلب حماري أيضا؟

- نعم اجلب حمارك أيضا، بعدهاً أغلق الباب (أناً أيضاً ذهبت، وجلبت منديل الأبيض وعلقته على حافة سطح دار علي بك، كي يراه علي بك من بعيد، ثم جلبت بعض الفراش واللحاف والمخاد وذهبت إلى الأسفل، جاءوا خدمي وجلسوا بجانبي، وفي هذه الأثناء، ظهر النور ويمكن مشاهدة الأماكن بوضوح، قبلهاً كان الوادي مغلفاً بالظلام لكن المشاعل فوق جدران المزارات المباركة ما زالت مشتعلة، عند رؤيتهاً لها، تشعل قلوبنا، لم تمر فترة، سمعناً صوت صهيل فرس داخل الوادي من جهة ثم أجابه صهيل فرس آخر، تبين لي بان الجيش التركي في نفس الوقت قد هاجموا وادي لالش من الجهتين، تم تطبيق أوامر ميرئالاً في المكان الموعود.

- إنهم جاءوا (قال خلف)

- نعم، إنهم أتوا، (ايفراً ساند خلف) يا أستاذ، إذاً اعتقدوا إننا ايزيدية وضربونا؟

- بعدهاً اخرج حمارك إلى مكان يلاحظونك ويعرفونك مباشرة (إن العساكر أتوا بلا خيول وصهيل الخيول الذي سمعناه يبدوا إنهم للضباط فقط.

(الآن تسمع صوت أرجل الجيادان من قريب شيئاً فشيئاً زاد الأصوات والضوضاء، تسمع جيداً الكثير من الأشخاص قد اقتربوا، أخيراً اعتلى الأصوات من المزارات، بعد دقيقتين نزح طابور من عسكر المشاة نحو الوادي، فرفعت راسي ونظرت إلى الأعلى، ما يقارب من مائتي شرطي منضبط، ذو وجوه متوحشة تحت لواء ئالاً أمين واحد وضابطين، الجميع طوقوا الوادي بالكامل، واتى وراءهم عصابة من باشيزوخ، وتفرقوا يميناً ويساراً كي يقصدون الناس الأبرياء ويلقون القبض عليهم، وبعدهاً جاءت مجموعة قليلة من الفروس وكانوا فرسانهم من الضباط الكبار، اثنان يوزباشي، اثنان ئالامين، اثنان بومباشي، قائمقام واحد، مجموعة من المرافقين كان من ضمنهم واحد طويل ومتصلب، وجه يابس حاملاً رموز من الذهب على ملابسه العسكرية، انه ميرئالاً عمراماد (قال لي ايفراً بهدوء).

- والذي بجانبه، بالملابس المدنية من هو؟ ، انه ادهشى مخيلتي، لأنه لا يوجد إنسان هكذا قذر وجرب وقبيح، ولم أرى أبداً مثله، مقارنته مع الكلب، انه أقذر من الكلب، ومقارنته مع أقذر حيوان فانه أقذر منه بكثير، وبأية قذارة توصفه فانه أقذر من تلك الوصفة، كل ذلك رايته في وجهه.

- انه الكودجي (رئيس جباية الضرائب)، مصدر ثقة باشا الموصل.(بولوك أمين أجابني)

(مأ عمل هذا مع العسكر؟ماذا يريد ،لماذا أتى؟ لم أستطيع الاستمرار في تفكيري، وأجيب على تلك الأسئلة لان المدفع ضربت فجأة، ثم أتى صوت مدفع آخر، وبدأ الصراخ والعويل بين الأتراك، سمعت صوت أقدام مجموعة من الناس الكبار وبالسرعة يرمون أنفسهم يهربون، مجاميع من الفروس والضباط، هذه الصورة كانت أمام عيني باستمرار.

- ما هذا؟(نادى ميرئالا)

مدفعين (قال الكودجي)

- إنها الصواب (ميرئالاً ابتسم وقال)من الصعوبة أن يجب عليه ضابط، لكن يا الاهي ما هذا؟

(الارناووظ الموجودين كانوا قد مروا من هنا، الآن قد تراجعوا خائفين وهربوا، وبين أيديهم أربعة جرحى والجميع يرتعشون خائفين)

- قفوا (ناداهم ميرئالا) ماذا حدث؟

- ضربوناً بالمدافع، قتل ئالامين، كذلك قتل ضابطين والبقية جرحى، أشلاءهم في الأرض

-الله يقتلهم، يضربون أصدقائهم بالمدافع، سأضربهم لحد الموت، ناصر اكاسي، تقدم نحو الأمام، اذهب وابلغ هؤلاء الكلاب (هذا كان أمر لأحد المرافقين، كان مع هيئته، هذا هو ناسر اكاسي الذي قبضت عليه على نهر باعذرة، ثم أطلقت سراحه، امتطى على حصان وذهب، لكن رجع في حينه)

- يا سيدي ، إنهم ليسوا عدادي مدافعناً يضربوننا، إنهم الأيزديون، ثم نادوني وتقربوا مني.

- أين مدافعنا؟

- مدافعكم بأيديهم، إنهم بتلك المدافع ينهالون علينا، ليلة أمس هاجموا مدافعناً وجنودناً واخذوا المدافع من اليوزباشي (غضب ميرئالاً وقال)

- يجب معاقبة هذا الملعون، أين هو؟

- تم أسره مع جميع رفاقه.

- مسجون؟مع الجميع؟بدون الدفاع عن أنفسهم؟(من الغضب لكز برجليه على بطن فرسه وتوجه نحو الأضواء التي تشع والموجودة على جدران المزار المبارك، ثم قال:أين الإيزديين، رفاق إبليس، كفرة أولاد الكفرة، أردت القبض عليهم، نضربهم بالفلاق حتى الموت، لكن لم يظهر أحد منهم، إنهم اختبئوا، سنراهم، لكن قبل كل شيء ارجعوا لي المدافع !

(المرافقون رجعوا خلفاً ، جنود ديار بكر المشاة بدأ بالذهاب، أكبرهم كان يحمل عكازة، يمشي بجانبهم، رأيت إن الجنود قد عبروا، ولم أرى غير ذلك، لان الوادي أصبح على يسار، لكن لم تمر فترة، سمعت ضربة مدفع ـ كرّم ـ أصبح اثنان ـ ثم ثلاثة وأربعة، حدث كسابقه مقتل العديد من الجنود، وبقيت أشلاءهم في ساحة الوغى، الجرحى المثقلين بالجراح تركهم في الساحة أيضا، أما الباقون والذين جراحهم خفيف،هربوا وتراجعوا نحو الخلف، أكبرهم رفع عليهم السيف، نادهم وهددهم.

ـ قفوا أيهاً الجبناء وألاً سأرسلكم بيدي إلى الجحيم، مرافقي داركونر إلى الأعلى.

(المرافقين ذهبوا بسرعة من هنا، الهاربين، لملموا حالهم مرة أخرى، ثم رأيت بمجيء العديد من الباشيزوخ، كي يقولون، إنهم رأوا الدور فارغة ولا يوجد فيها بشر.

ـ هدموا عشهم واحرقوها، بينوا لي أثرهم على الطريق، يجب أن اعلم، أين ذهبوا (حان وقت الاستفادة)

ـ خلف، إذاً أصابني القدر، ارفع هذا المنديل الأبيض على حافة الدار، إشارة إلى علي بك (بعد هذه الكلمات، قدمت نحو الأعلى، ثم بينت نفسي)

ـ آه (نادى ميرئالا، لقد رأيناً أحد، تعال إلى هنا ابن الكلب، أريد أخذ المعلومات (أحنيت نفسي وتراجعت)

ـ خلف، أغلق الباب، لا يدخل أحد دون إذني، عندما أنادي باسمك، افتح الباب بسرعة (جلبت خلف معي من الأعلى ووصلت عند الباب وغلق الباب علي، الضباط بسرعة طوقوني)

ـ الدودة القذرة، هذا أنت، اجب على أسئلتي، وإلاً سأقتلك (أمرني ميرئالا)

- الدودة !(سألته بغضب) خذ واقراً !(أتى بخفة واخذ مني الإذن، عندما رأى عليها ختم السلطان، وضعهاً فوق جبينه، لكن ليس من قلبه، انه قراهاً بخفة.

- أنت أوربي؟

- أنا ألماني.

- لا فرق في ذلك، ماذا تفعل هنا؟

جئت لكتابة البحث عن عادات وتقاليد الايزدية، (أجبته مرة أخرى استلمت إجازتي)

- في الموصل كنت مع الوالي؟

- نعم.

- هل لديك إذن منه، بان تأتي إلى هنا؟

- نعم، هذا إذن منه (أعطيته الرسالتين اللتان كتبهماً والي الموصل، بعد قراءتهماً رجعهماً لي.

-هذا صحيح لكن- انه قطع كلامه لحدوث معركة ضارية داخل الوادي، وفي نفس الوقت سمعناً صوت أرجل الفروس الآتية إلينا.

- ما هذا في داخل الوادي (نصف السؤال موجه لي، لهذا أجبت عليه)

-إنهم الإيزديين لقد تم تطويقك، أي نوع من الدفاع لا جدوى فيه (انضبط نفسه فوق فرسه)

- الكلب القذر (صرخ بوجهي)

-لاً تقل مثل هذه الأقاويل ميرئالا، لا تتكرر مثل هذه الأقاويل، هاً أنا راحل

- لن ترحل

- من لا يدعني ارحل ! سأعطيك كافة المعلومات، لكن لن أبقى هنا، لأكون في خدمة ميرئالا، لقد بينت لك، أنا في ظل من، وفي حالة عدم اعترافك بها، أنا اعرف كيف أدافع عن نفسي؟

- آه (رفع يده ليضربني)

ـ خلف (مع هذه المناداة العالية، رميت نفسي بين الفرأس.، انفتح الباب، مازال الباب انغلق ولم ينغلق، ميرئالاً رماني بمسدسه، أصاب طلقته إحدى الأشجار

ـ يا أستاذ (قال خلف بهموم) كان يقصدك

ـ تعال صاعداً (حين صعدوناً بسلم، سمعناً في الخارج أصوات منزعجة عند صعودنا، رأيت اختفاء نهاية العسكر في زاوية من الوادي، إنها خطة بلا عقل، سيحاربون المدافع، تدهور الوضع بيد ميرئالا، من السرور لم يكن علي بك يتقاتل معهم، الترك كانوا في الأسفل وعند المزار المقدس ولحين منتصف الجبل، هكذا امتلىء بهم المكان، لو أطلق ايزيدياً اطلاقة واحدة لقتل أكثر من واحد، مرة أخرى بدأت المدافع بالضرب، ودب الخوف بين جنود الترك، الجميع هربوا متدافعين إلى الأسفل، تجمعوا في أسفل الوادي، من الغضب والخوف تيبس ميرئالاً في مكانه، الآن من الضرورة، أن يأخذ بعض المعلومات ويتحدث بلغة أخرى، عندما راني، أعطى لي إشارة، مرة أخرى أعليت نفسي.

ـ تعال وانزل

ـ لماذا؟

ـ سأسألك بعض الأسئلة

ـ أنت ستقتلني

ـ لم تكن هدفي.

ـ اسأل أسالتك، ماذا لديك، أنا هنا في السطح سوف أجاوبك ، هكذا سأجيب كما أنا عندك (أعطيت إشارة إلى خلف ،عرف ما أريد) لكن أترى هذا الرجل؟انه خادمي، يحمل سلاحاً موجهاً فوهته نحوك، لو يرى بقدر إبرة أحداً يرفع سلاحه نحوي، انه سيقتلك يا ميرئالاً ثم سأقول مثلك، لم يكن هدفي أنت.

(خلف جلس على ركبتيه، عدل البندقية، أصفر وجه ميرئالاً لا أعلم من الغضب أم من الخوف.

- ارمي بندقيتك هناك (نادى ميرئالا)
- لن ارمي!
- يا رجل، لدي ألفي جندي هنا، أستطيع طحنك.
- أيضاً لدي رجل باستطاعته قتلك بإشارة واحدة مني.
- بعدهاً الجيش سيأخذ بثأري بالقوة
- الكثير منهم سيدفنون تحت التراب، إذاً مسني أذاً ، أقول لك، أربعة آلاف مقاتل طوقوا الوادي بنصف ساعة وبسهولة نحولكم إلى ضيوف الموتى.
- قلت كم مقاتل؟
- قلت، أربعة آلاف مقاتل، انظر إلى الوادي، إلا ترى راس بجانب راس؟هذا رجل نزل من الأعلى رفع راية بيضاء، مؤكد انه رسول علي بك أمير باعذرة، يبدوا انه سيتباحث معك، هيئ له الطريق، أرسل احد لاستقباله، كي يطمئن حسب العادات والتقاليد، مجيئه في مصلحتك.
- لست بحاجة إلى معلوماتك، هذا المتمرد يجب أن يأتي لوحده، أين جميع الإيزديين؟
- دعني أقول لك، علم علي بك بأنك ستهجم على الحجاج، انه بعث باستخباراته إلى طريق جيشك في الموصل وديار بكر وكركوك، كي يراقبون مجيئكم، ثم بعث بالنساء والأطفال إلى مكان آمن، ولم يقطع الطريق عن جيشكم، طوق الوادي من كافة الاتجاهات وفتح لكم الطريق، حتى جمعتم في الوادي، قبلهاً استولوا على مدافعكم وصواريخها، أنت ستندم إذاً لم تتعامل بالكرم مع رسوله.
- إني أشكرك يا أوربي، إني سأتباحث مع الرسول أول مرة، ومن ثم معك، لديك إجازة من السلطان ووالي الموصل، وتقف بجانب عدوهم، أنت إنسان خائن، يجب أن تنال عقوبتك (في حينه أتى ناسر اكاسي، وهو برتبة ياور، ذهب إليه ووضع بعض الكلمات في أذنه، ميرئالاً أشار لي وقال: يا ليت هذا هو !

ـ هذا هو، ليس مع أعدائي على الصدفة أصبح ضيفهم، انه أنقذ حياتي.

ـ حسناً ، بعدهاً سنتكلم عنه، لكن الآن تعالى لنذهب إلى داخل البناية (دخلوا إلى معبد الشمس، ترجلوا من فرأسهم وذهبوا إلى الداخل، رسول (علي بك) يقفز من صخرة إلى أخرى، أتى مباشرة إلى الماء، ودخل معبد الشمس أيضا، لا صوت، المعبد في صمت، فقط صوت جندي واحد، ينزلون بمجاميع من الأعلى، لم تمر نصف ساعة، خرج رسول علي بك من المعبد، لكنه كان مقيداً ومن بعده خرج ميرئالاً عمراماد أيضا، التف حوله، رأى كومة من حطب الأشجار، نادى على عشرة أرناووط وقال لهم، ارموا هذا بالعيارات النارية، العشرة قادوا رسول علي بك إلى قرب كومة حطب الأشجار، كي يرمونه بالطلقات.

ـ أوقفوا (ناديت ميرئالا) ماذا تفعل، هذا الرسول، إنسان مبارك.

ـ انه مثلك متمرد، أولاً هو وثانياً أنت، لأنه الآن أدركنا، من الذي قبض على عداد المدافع (أشار إلى الجنود كي يرمون الايزيدي بالرصاص، لكن الذي حدث، لم تكن في مخيلتي أبدا، أتى رجل من بين الجنود أتى حيث كومة حطب الأشجار عند ذلك المقتول، جلس على قدميه، انه بير كمك.

ـ آه هذا شخص آخر (ناداه ميرئالاً وذهب إليه، انهض واجبني) !

(لم اسمع أكثر لأنه كان بعيداً عني، فقط رأيت نضال أيادي بير كمك، الحاقد ميرئالاً ثم رأيت بعض الأيادي تذهب إلى كومة حطب الأشجار، وارتفع لهيب النار، فكرة دارت في رأسي، يا إلاهي الكبير، هل انه تلك الضحية، تلك العقوبة، ذلك الثأر، الذي أراد الثأر من عدوه، ذلك العدو الذي قتل زوجته وأبناءه، لم تمر دقيقة ـ ارتفع لهيب النار، بير كمك، تكلموا فيما بينهم،

ميرئالاً في حالة غضب وعنف وعناد، بينماً بير كمك بهدوء وصبر وعيونه مشددة، لكن فجأة فتح عيناه وابعد الجنديين عنه ورماهم جانبا، وامسك بميرئالاً فجأة وسحبه إلى النار، اختفى الاثنان عند لهيب النار، المعركة عند لهيب النار، واحد كان يريد إنقاذ نفسه من النار، والآخر كان يود احتراق الأول، أصبحت مثل إنسان في الماء في فصل الشتاء البارد، نعم كان من اجل ذلك، هذا هو أهم يوم في حياته، ذلك اليوم الذي يترك فيه الإنسان دنياه، ويسلم روحه أمانة إلى النار دائم الاشتعال، اكبر خوفه ثأره من ميرئالاً على الكلمات المذكورة في مؤخرة كتابه عن تاريخ الدم الايزيدي، هذه النار كانت أداة يجب حرق جسمه بهاً وترك ملابسه فيها، انتابني الخوف والرعشة، وأغمضت عيوني، لا أريد أن أرى أكثر وأحس مما رأيت، لا اعلم بالكثير والأفضل، ذهبت إلى الداخل تمددت ونظرت إلى الجدار هدوء في الخارج إلى حد ما، لكن بعدهاً بدأت المعركة، الآن لا شأن لي بذلك، إذاً اقترب مني الخطر، يا خلف أيقظني فقط، رأيت المعبد الأبيض العالي، اللحية السوداء، الملابس العسكرية تبرق من الذهب، فقط رأيت الذين اختفوا في لهيب النار وأصبحوا بخار، يا رب، حياة الإنسان كم لها قيمة، أنت مع هذا ـ مع هذا ـ مع مضى وقت غير مريح ـ الهدوء في المعركة، على الدرج سمعت صوت الأرجل، خلف دخل الغرفة.

ـ أستاذ، يجب أن تأتي إلى السطح !

ـ لماذا؟

ـ ضابط يود التحدث معك.

ـأستاذ،ذهبت إلى السطح، بنظرة واحدة أعلمت بظروف المعركة، ليس فقط الأماكن العالية للوادي وماً يسيطر على الوادي في أيادي الإيزديين وإنماً بداً ينزلون إلى الداخل شيئاً فشيئا، خلف كل صخرة، كل شجرة، كل حجر اختباً وراءهاً رجل ايزيدي وأخذ أفضل مكان، لا يرمون باطلاقة إلا وتصيب هدفها،

حتى إنهم واصلين إلى أسفل الوادي واخذوا موقفهم في ماء العيون وبين الحرائش، فقط بقى شيء واحد، إذ كانوا قد نصبوا مدافعهم إلى فوق وضربوا جنود الترك، لم يبقى من الترك واحداً ، رأيت ناصراكاسي أمام باب المزار.

-أستاذ ،ستتكلم معي؟(سألني).

- ماذا لديكم تقولون لي؟

- نود إرسال رسول إلى علي بك، ميرئالاً يا إلهي يكون مكانه الجنة، أشار إلى الدخان الصاعد من الحطب، انه قتل رسول علي بك، هكذا لا يستطيع احد منأ الذهاب إليه، أتريد الذهاب؟

- أريد، ماذا أقول له؟

- قائم مقام سيأمرك، الآن يقود القوات الخاصة، انه داخل ذلك الدار، تعال عندي!

- سيأمرني؟ قائم مقامكم لن يستطيع أن يأمرني ولو بقدر رأس إبرة.ماً أريد أن أفعله، أنا حر، قائم مقام يستطيع المجيء إلى هنا، ماذا يريد ليقول هنا، الباب مفتوح له، فقط له ويرافقه شخصان، واحد غيرهم يقترب من هنا سأقتله.

- غيرك من في الدار؟

- خادمي باشبزوخ (رافقني باشا الموصل).

- ما اسمه؟

- بولوك أمين ايفرا.

- ايفراً مع حماره

- نعم (وضحكت)

- أنت الغريب، الذي ضربت الارناووط، وصادقت الباشا؟

- نعم أنا.

- انتظر قليلاً يا أستاذ، الآن سيأتي القائم مقام (لم يمر وقت طويل، وخرج القائم مقام من المعبد، واتى عندي، كان بمعييته رئيس الكودجية.

ـ خلف افتح الباب ليدخل، ثم أغلق الباب، تعال إلى هنا، كل من يقترب إلى الدار بدون رخصة اضربه بالبندقية، (نزلت إلى الداخل، وبعدهاً دخل الرجلان، كاناً موظفان، هذا لا يهمني، استقبلتهم بكلمات بسيطة، وأشرت إليهم بالجلوس، عندما جلسا، قبل أن أرحب بهم بحرارة، قلت لهم، خادمي سمح لكم بالدخول، قال لكماً ما اسمي؟

ـ لا

ـ الناس يسمونني حجي كارابن نمزي أفندي، أنا لا أعرفكم، وماذا لديكم لتقولوا لي؟

ـ أنت حجي (سألني رئيس الكودجية)

ـ نعم

ـ ذهبت إلى المكة؟

ـ نعم، إلا ترى القرآن المعلق في عنقي؟ إلا ترى الكؤوس المملوءة من ماء زمزم؟

ـ اعتقدت، انك من الكفرة.

ـ أجئتم لعندي لتقولون ذلك؟

ـ لا ـ نرجو إيصال مطالباً إلى علي بك.

ـ تأمنون لي الطريق، لأذهب بسلامة؟

ـ نعم

ـ لي ولخادمي؟

ـ نعم

ـ ماذا أقول له؟

ـ قل له لينزع سلاحه، ويستمع إلى باشا الموصل

ـ ماذا بعد؟(سألتهم ماذا بعد يقولون)؟

ـ بعدهاً يجب دفع الضريبة، حسب قرار يصدرهاً باشا برحمته.

ـ أنت رئيس كودجية الموصل، نعم، وهذا الرجل قائم مقام، هو قائد الجيش، يجب أن يتحدث معي هو وليس أنت

ـ أنا كممثل للباشاً بمعييته (مع هذه الكلمات تغير أسلوبه، وأصبح ثقيلاً على النفس)

ـ بكتاباته عينك ممثلاً له؟

ـ لا

ـ إذاً أنت لا تنفع بشيء، أنت مثل أي شخص آخر.

ـ لذلك شاهدي هو القائمقام.

ـ فقط بالكتابة، تستطيع أن تعرف نفسك، اذهب واجلب الرسالة حول ما تمثلك، باشا الموصل يريد أن يكون شخص واحد ممثل عنه.

ـ أتريد أن ترجعني خلفاً ؟

ـ لا، أريد أن أوضح لك، أنت لست ضابطاً ، ولا تفهم شيئاً عن الجندية، لذلك أريد أن تكون صامتاً .

ـ أمير (ناداني باسم الأمير، ثم نظر إلي بغضب)

ـ أتريد أن أبين حقيقة كلامي، انتم مطوقون، من الصعوبة أن ينقذ أحد منكم، بعد نصف ساعة سيتم القبض عليكم، في هذه الظروف، وأقول ل (علي بك) ، انزع سلاحك؟سيعتقد باني مجنون. ميرئالا، عفاه الله ويكون الجنة مثواه، انه قاد ألف وخمسمائة جندي كالمجانيين نحو هذا الفخ، وفجأة أصبح هذا الواجب على أكتاف القائم مقام، وإذاً استطاع أن يحرر جنوده من هذا الفخ، إنه ضابط جيد وبطل فذ، لكن الخوف والجهل واقفاً خلف الكلمات اللينة والعذبة، هذا لن يوصله إلى الهدف، سأتكلم معه فقط، لقيادة الجيش، يجب أن يكون شخصاً واحدا.

ـ يجب أن تسمعني أيضاً !

ـلاً أعرف على أية أساس؟

ـ حول موضوع المحادثات وان تكون بحسب المرجع، أنا رئيس الكودجية.

ـ ماذا أنت ! إذاً لم تستطيع أن تريني كتاب ممثليكم، لا حديث بيني وبينك (لم أحب هذا الرجل، لكن لو كان كلامه لطيفاً ، لماً سمعته كلمات خشنة، لا امتلك معلومات واضحة حول ذنوبه)

ـ ماذا أقول لعلي بك، إذاً سألني لماذا أقدمتم بهذه الحملة على معبد لالش (سالت القائمقام)

ـ جئناً للقبض على القاتلين، اللذين هربوا إلى هنا، كذلك دفع الجزية، لأنهم رفضوا دفعها.

ـ لهذه الأسباب سيتعجب علي بك لأنه سيكشف لكم، انه باستطاعتكم الكشف عن المجرمين من بينكم، ومن اجل الجزية باستطاعتكم استعمال أسلوب آخر، لكن قولوا لي هدفكم لأقول له.

ـ قل له ليرسل احد من رجاله لأقول له شروطي، وحسب تلك الشروط سوف اترك معبد لالش وارحل.

ـ وإذاً سألني عن تلك الشروط؟

ـ باسم الباشاً اطلب منه، إرجاع مدافعنا، مع دفع أموال لدم لشهدائناً وجرحاناً مع دفع الجزية وأموال أخرى للخسارة العامة، ثم يبين هذا المبلغ لاحقا.

ـ الله اكبر، الله قد منحك فماً ، يطلب ما يتمنى، إلا تحتاج إلى مطالب أخرى لتقول لي، هذا يكفي، والباقي تستطيع تقول لعلي بك، سأذهب إليه بسرعة، أما أن احمل معي جوابه، وأما ممثلاً عنه

ـ قل له يطلق سراح جميع أعداد المدافع ويدفع خسارتهم.

ـ سأقول له هذا أيضا، لكن أخاف أن يكون له مطالب أيضا، هاً أنا ذاهب، لكن قبل أن اذهب انتبهوا، إذاً لحقتم ضرراً بمعبد لالش، بعدهاً علي بك لن يرحمكم.

(أناً قمت وهم أيضاً ذهبوا، ناديت على خلف وايفرا، وضعوا السراج على الحيوانات، لم تمر وقت ركبنا، ابقوا هنا، سأتي حالاً (ذهبت إلى الأسفل قليلاً كي أرى ضرر المدافع، شيء

مخيف، لكن الإيزديين خففوا ذلك الخوف، لأنهم قد ضمدوا جرحى الترك وقدموا لهم المساعدات قلت لنفسي لو كان النصر للعثمانيين، لفعلوا ذلك؟مع ذلك مقاتلي الايزدية في موضعهم، الكُل خرجوا ونادوني، لكني رجعت إلى خلف وايفرا، ثم توجهت نحو طريق باعذرة، اعتقدت بان علي بك في هذه الاتجاه، عبر الجبال، عبرنا المعبد، كان القائم مقام واقفاً هناك، انه أعطاني إشارة فذهبت إليه.

- قل لعلي بك يجب دفع دم ميرئالاً أيضا.

- أنا أقول، بان رئيس الكودجية الموصل يتعب نفسه كثيراً ، كي يفكر بالمطاليب أكثر، أنا أعتقد بان علي بك أيضاً لديه مطاليب كثيرة منكم وسيطلب دم رسوله، لكن سأحمل مطاً ليبكم إليه.

- معك باشبزوخ؟

- كما ترى

- من وضعه بمعييتك؟

- باشا الموصل

- مازلت بحاجة إليه؟.

- نعم

- نحن أيضاً بحاجة إليه.

- اجلب لي أمراً من باشا الموصل، عندما تجلب لي الأمر وأراه، سأعطيك بولوك أمين (استمريت في طريقي، عبرت الكثير من الوجوه الموحشة، سيوفهم في أيديهم، ناصرأكاسي كان معي لحين الوصول إلى المكان الأمين، بعدهاً ودعني بخفة وبأختصار، لقلة الوقت، سنلتقي مرة أخرى يا أفندي؟

- الله أعلم، لا علمٌ لناً بذلك.

- لقد حررت حياتي، لن أنساك أبدا، أنا أشكرك، لابد وان نلتقي مرة، حينهاً سأكون في خدمتك.

ـ الله يحفظك، ليس بعيدا، أن أراك يوماً ميرئالا، أوفر حظاً من ميرئالاً عمراماد.

(تصافحناً وتفارقنا، مرة في مكان ، التقيناً مرة أخرى)، لم نمر قليلاً ورأيناً أول ايزيدي مختبأً وراء الأحراش، انه مترجمي يوسف ابن زلك، لقد هيأ نفسه في مكان قريب، وموجهاً نحو أهدافه بالبندقية.

ـ أمير ـ أنت بخير (ناداني)

ـ كثيراً ، لديك كتاب بير كمك؟

ـ لا، وضعتهاً في مكان، لا يمسهاً أحد.

ـ لكن إذاً قتلت سيضيع الكتاب؟

ـ لا يا أفندي، لقد علمت الكثيرين عن مكانها، ثم سأعلمك أيضا.

ـ أين علي بك؟

ـ عند تلك الصخور في الأعلى، كي يتمكن من السيطرة على الوادي جيدا، من فضلك دعني أوصلك إليه.

(وضع بندقيته فوق كتفه ومشى أمامي، وصلنا إلى الجبل العالي، هناك رأيناً الأماكن والمواضع، الإيزديين بسرور، إنهم موجودين بداخلهاً للقتال، ينتظرون إشارة من علي بك للبدء بالمعارك ، هنا علمت جيدا، رأيت علي بك، عندما كناً نراقب النجوم، الآن هنا مطوق تماماً من قبل الإيزديين، هؤلاء الإيزدية الذين حاربوا سابقاً ضد جيش السلطان بدون خوف ينتصرون، ذهبنا نحو اليسار لحين وصلنا إلى الصخرة الكبيرة في الوادي، كان هناك علي بك وثلاثة من الايزدية حفاة، حينماً رآناً علي بك استقبلناً بحفاوة، واشكر الله الذي حفظك.(قالهاً من كل قلبه)أتى شيء محزن في ذهنك؟

ـ لا، لو أتى شيء في مخيلتي، لأعطيتك إشارة

ـ تعال هنا.

(ترجلت من فرسي، وبمعيته ذهبت إلى مكانه، هنا يرى المرء الوادي بأكمله، المزار المقدس، دار علي بك، جيش الترك، الحائطين بالوادي)

أترى المكان الأبيض على سطح داري؟(سألني)

- نعم، هو منديل الأبيض.

- لو فتحتهاً من هناك، لأعطيت الإشارة لينزلوا خمسمائة من مقاتلي من الأعلى إلى الأسفل وتظل المدافع تدك الأعداء وتمزقهم

- إني أشكرك يا بك، أنا بسلام، فقط ميرئالاً ضربني باطلاقة ولكنهاً لم تمسني.

- يجب أن ينال حقه.

بطلاً ، نال حقه (ماً رأيت، قلت له بالتفصيل، حتى الكلمة الأخيرة لبير كمك، الذي لم يودعني، وسمع إلى حديثي جيداً ، وكان يحترق في الداخل، وعندما أنهيت كلامي، لم يقل شيئاً إلا كلمة، إن بير كمك كان بطلاً ، بعدهاً فكر جيداً وبعمق، ثم انتبه وقال: ماذا تقول؟ إنهم قتلوا رسولي

- إنهم رموا رسولكم بالرصاص.

- من الذي أعطى أمر الرمي؟

- بالتأكيد، ميرئالا.

- مازال حياً (وصك بأسنانه)

- عندما كان ميرئالاً على قيد الحياة عرفت من تصرفاته انه سيصاب بأذى، قلت له، إن لم ترجع بعد نصف ساعة، سأبدأ بالمعركة مرة أخرى، لكن سأخذ بثأره، سأعطي الإشارة بعدم بقاء واحد منهم على قيد الحياة.

- هدأ نفسك، قبل هذا لدي حديث معك، بعثني قائمقام وهو قائد الجيش حالياً (أبلغته بوصاية قائمقام ورئيس الكودجية، لقد غضب كثيراً ، وتعقدت جبينه، لكنه بقى، لحين انتهائي من القصة)

ـ نعم، نعم، رئيس الكودجية هناك، الآن أعلمت، من الذي فعل كل هذا، فهو أقذر عدو للايزدية انه حاقد على الإيزديين، انه مصاص دم الايزدية، انه عكس الأحداث، هو خلف قتل رسولي هو الذي أشعل هذا الحرب، لكن وفدناً الذي أرسلته إلى استنبول سيذهب إلى رئيس محكمة ترك آسيا، كي يعطونه رسالتي المكتوبة من قبل بير كمك، الاثنان لهماً علاقة طيبة مع بعضهم بير كمك كان ضيفه لفترة طويلة، انه يستطيع أن يفرق بين الحقيقة والكذب، سيساعدناً

ـ أنا من كل قلبي، أتمنى لك ذلك، لكنك سترسل من إلى القائم مقام؟لاً يجوز أن يكون إنساناً عاديا، لأنهم سيفعلون به الحيل.

ـ أنت تسال من سأبعث إليه؟ لن أبعث أحداً ، لا أبعث شخصا، فقط أنا سأتحدث معه ، أنا كبير جيشي، وهو كبير جيشه، القرار في أيدينا، لكن أنا المنتصر وهو مهزوم يجب أن يأتي هو إلى هنا.

ـ هذه حقيقة.

ـ سأكون هنا في انتظاره، سنؤمن له الطريق، كي يأتي بأمان، لكن إذاً لم يأتي بعد نصف ساعة، سأبدأ بالحرب مرة أخرى، ولن أبقى عثمانياً واحداً .

(علي بك ذهب وتحدث مع مساعديه باختصار، بعدهاً رأيت مساعده رمى بندقيته جانباً ، ورفع منديلاً أبيضاً ، وسلك الطريق الذي أتيت منه، والثاني حمل سلاحه وصعد نحو اليمين ثم نزل إلى الأسفل عند المدافع، علي بك أعطى إشارة للايزدية بنصب الخيمة، عندما نصب الخيمة وفرشوها، نظرت إليهم، بان الايزدية رفعوا المدافع عن مكانهم، وحملوهم إلى عند الماء، هناك الكثير من الصخور، قطعوا بعض الأشجار ورتبوا مكان المدافع، لم تمر عشرين دقيقة، رأيت مجيء القائم مقام، كان بمعيته ثلاثة جنود، وكان بجانبه رئيس الكودجية، ينتظر

الحظ الأسود، هذا ما رأيت من عيون علي بك، علي بك جلس في الخيمة، وأناً ذهبت لاستقبال القائم مقام، القائم مقام ورئيس الكودجية دخلوا الخيمة، الحراس الثلاثة بقوا خارج الخيمة.

ـ السلام (سلم القائمقام، لكن رئيس الكودجية لم يسلم، كان ينتظر من علي بك أن يأتي إليه ويسلم عليه كممثل من والي الموصل، لكن علي بك لم يسلم عليه ولا رد على سلام القائمقام، فقط أشار للقائم مقام بالجلوس، قائم مقام تستطيع الجلوس قال له علي بك بكل احترام وتقدير، وجلس بجانبه رئيس الكودجية)

ـ طلبت منا، أن نأتي إليك (قال قائمقام وبدأً بالحديث) لماذا لم تأتي إلينا؟

ـ أنت على خطأً (قال علي بعصبية) لم أطلب منك، فقط أعلمتك، إن لم تأتي سأبيد العثمانيين في الوادي، هذا طلب؟ ثم سألت لماذا لم أتي إليك، إذاً جئت من معبد لالش إلى الموصل، سأتي إليك، وأنت أتيت من الموصل إلى لالش، فأنت تأتي إلينا حسب العادات والتقاليد، وان نجلس ونتباحث مباشرة أنت خادم وعامل السلطان والمتصرف، في هذه الفرصة أصبحت قائداً للجيش وضابطاً ، لكني أميراً كوردياً مستقلا، قائد لجميع مقاتلي، لهذا لا تفكر بان رتبتك أعلى من رتبتي.

ـ أنا خادم ــــــــــ

ـ كن صامتا، لم أتعود أحداً يقطع كلامي، أو لا يسمعني، كن حذراً من ذلك، يا قائم مقام، أنت بلا حق وبلاً علمناً مثل لصوص الطرق ومسلحين أتيتم إلى أماكننا، أمسك باللصوص واقتلهم كما أشاء لكنك خادم السلطان والمتصرف، قبل أن أفعل أي شيء، أتحدث معك بلطف، لحد الآن أنت وجيشك بسلام، لأنني رحمتُ بكم، قل الآن من هو صاحب الحق، يذهب إلى الآخر، أنا أتي إليك، أم أنت تأتيني (تعجب القائمقام، ولم يتصور بان علي بك سيتحدث معه بهذا الأسلوب، كان يفكر كيف يجيب

على أسئلته، لكن رئيس الكودجية، استقبل كلام علي بك بسوء وقال لعلي بك إلا تخاف على نفسك، هكذا تقول لممثلي السلطان وباشاً الموصل باللصوصية والقتلة، كن حذراً ستندم.

ـ علي بك التفت إلى القائمقام وقال له :من هذا المجنون؟

(علي بك حضر هيئة تخويف)

ـ انتبه إلى لسانك يا علي بك هذا الأفندي هو رئيس كودجية الموصل.

ـ هل تمزح؟، رئيس الكودجية يجب أن يكون عاقلاً ، ويكون عقله في رأسه، انه ورط والي الموصل كي يخوض حرباً ضدي، لو كان عاقلاً لماً جاء إلي، كان يجب أن يدرك، ماذا ينتظره هنا

ـ أنا لا امزح، هو بنفسه.

ـ إني أرى، أنت لست سكراناً ولا نائما، لذلك يجب أن أصدقك، لكن فكر، إني طلبتك أنت لوحدك.

ـ جاء بمعييتي كممثل للمتصرف

ـ ليس بعيدا، أن يكون كذلك، كما تقول، لكنك تستطيع تأكيد ذلك؟

ـ أنا أقول وأناً الشاهد.

ـ هذا لا يأكل هنا، أنا أصدقك، لكن الذي يأتي من اجل هذه القضية، يجب أن اعرفه جيداً هل يملك حق المحادثة معي أم لا، إذاً لم يمتلك لذلك الحق، سأتعامل معه، كيفماً تعاملتم مع رسولي الأول.

ـ لا يجوز أن تتعامل هكذا مع رئيس الكودجية !

ـ سأبين لك، هل يجوز أم لا (صفق بيديه، فحضر الايزيدي الذي جلب القائمقام) وعدت القائمقام بان الطريق آمن ولياتي مطمئناً ؟

ـ نعم مولاي.

ـ وعدت شخص آخر غيره؟

- لا شخص آخر.
- وعدت الحراس الثلاثة الواقفون في الخارج؟
- لا، ولم أوعد رئيس الكودجية أيضا.
- قيدوا الرجال الثلاثة وهذا الرجل أيضاً رئيس الكودجية أخذ معك، انه متهم بقتل رسولي كذلك متهم مقابل الكثير من التهم.
- أنا لا أقبل (نادى القائمقام)
- سأدافع عن نفسي، سآخذ بثأري (هدد رئيس الكودجية، مع ذلك خرج خنجره من خمده، في نفس الوقت ضرب علي بك بقبضة يده على بين عيونه، وقع على ظهره.
- كلب الكلب، أنت ذلك الرجل في خيمتي تسحب علي الخنجر، أخرجوه.
- تمهل (قال القائمقام) نحن جئناً للمباحثات، يجب أن تكون حياتناً بسلام.
- رسولي أيضاً كان في مباحثات معكم، لكنكم قبضت عليه كخائن ورميته بالرصاص، خذ هذا خارجا.
(الايزدية الموجودين هناك، لزموا أيادي رئيس الكودجية وأخرجوه)
- اذهب وستصل إلى رفاقك بسلام وبصحة تامة، لكن قبل أن تصل إليهم، سيقتل الكثيرون منهم، مير كارابن نمزي، اذهب إلى راس الصخرة الخارجية وارفع يدك اليمنى، هذه إشارة لعداد المدفعية كي يبدءوا القصف بالمدافع.
- تمهل (قال القائمقام وبسرعة دار وجهه له) لا يجوز أن تبدءوا بالقصف.
- لماذا لا يجوز (سأله علي بك)؟
- هذا يصبح اقتتال.
- هذا لم يصبح اقتتال، بل هذه عقوبتكم، أردتم الهجوم علينا بدون علمنا، أتيتم بالسيوف والبنادق والمدافع، كي تبيدوننا، وتمزقنا، لكن الآن مدافعكم بأيدينا، تم القبض عليكم في فرصة

جيدة، الآن تقولون للذين يدافعون عن أنفسهم إنهم قتله، قائم مقام انزع حقدك، لا تكن (علكة) بفم الناس

- يجب أن تطلق سراح رئيس الكودجية

- هو المسؤول عن قتل رسولي، يجب أن ينال جزاءه.

- ستقتله؟

- ليس بعيدا، وهذا يقف عند معاهدة أو اتفاقية نتفق عليها.

- ماذا تطلب مني؟

- أنا مستعد للاستماع إلى مطاليبك.

- المطاليب !نحن جئناً نطلب منك !

- قبلها، قلت لك لا تكن علكة بفم الناس، للمرة الأولى ما سبب هجومكم علينا؟

- وجود قاتلين لديكم.

- أدرك ما تقول، لكني أقول لك، انك فهمت خطأً ، ليس اثنين مناً قتلوا واحداً منكم، بل ثلاثة منكم قتلوا اثنين منا، هذا أعرفه جيدا، وسأبين لك، قبل الآن كان مختار مالتاً مع أقرباء القتلى هنا، وقد رأى الحادث كشاهد عيان، ما قلت لك، هو الذي قال لي.

- يجوز انه روى عن حادث آخر، ليس هذا الحادث.

- هذا فقط، حديثكم عنها، لكن رئيس الكودجية، قد عكس الحادث وقالهاً لكم، يجب عدم فعلهاً مرة أخرى، إذاً كان كما تقول، ليس مبرراً للهجوم علينا بالجيش والأسلحة.؟

- هناك سبب آخر

- ما هو؟

- لم تدفعوا الضرائب.

- دفعناً الجزية، تقصد جباة الضرائب؟نحن الكرد مستقلين، كم ندفع نحن أحرار، وقد دفعناً كذلك بدل الخدمة العسكرية لغير المسلمين أيضا، الآن تريدون الجزية أيضا، أتريدون أية مطاليب أخرى، كذلك دفعناً ضرائب الرؤوس بالفرض، انتم على

حق؟، إذ كناً مطلوبين للمتصرف بالجزية، هذا يكون ذريعة للهجوم علينا، يود الهجوم على لالش، والآن يتواجد ألف مقاتل فيه؟

قائم مقام أنا وأنت نعلم جيداً ماذا يريد مناً المتصرف؟

يريد المال والأثاث، لكن لم يحصل على غنائمنا، لا نريد أن نبحث عن أسباب هجومه أكثر، أنت لست قانونياً ولا كودجياً ، أنت ضابط، لذلك نتحدث عن أمور متعلقة بالجيش فقط، يجب أن تتكلم وأناً استمع إليك.

ـ أريد منك الجزية والقتلة، وإذاً لا، وبأمر المتصرف سأدمر معبد لالش وجميع مواطن الإيزديين، ومن يدافع، سنقتله.

ـ نأخذ ما يمتلكون كغنائم.

ـ ستأخذها جميعاً كغنائم؟

ـ هذه أوامر باشا الموصل.

ـ هذه أوامره

ـ ستطبق أوامره؟

ـ بماً أستطيع ذلك.

ـ افعل، ما قاله لك المتصرف(نهض علي بك، وأشار بانتهاء المباحثات، القائم مقام أراد رجوعه)ماذا ستفعل – بك؟

ـ ستدمر قرى الإيزديين، تأخذ أموالهم غنائم، إني رئيس الايزدية، فواجبي أن أحافظ عليهم، مجيئكم إلى هنا كان بدون علمنا، انتم تدافعون عن أسباب كاذبة، تريدون حرق دورناً وتنهبوا أموالنا، وتقتلوننا، حتى قتلتم رسولي، ضد جميع الطبائع والدساتير، كذلك إني لن أحاربكم كجيش ومقاتلين، بل أحاربكم كقطاع طرق ولصوص، وأخذ الغنائم، هذا النوع من البشر يستحق الموت، لا حديث بيننا، إرجع إلى جيشك، الآن أنت في حمايتي، بعدهاً تخرج منهاً (خرج علي بك من الخيمة وبيده أعطى الإشارة لعدادي المدافع، وهم منذ فترة بانتظار إشارة، دق المدفع ـ دق ثم تلاه الآخر)

- يا مولاي، ماذا تفعل (ناداه القائم مقام) مازلت عندك، خالفت وقف إطلاق النار.

- هل لدينا اتفاقية حول وقف إطلاق النار؟ ألم أقول لك لا حديث بيننا بعد؟سمعت !هذه أصوات المدافع التي جلبتموه لضربنا، لكن الآن تضربكم، الله مع الحق، المدافع التي جلبت من قبل المذنبين لضرب الأبرياء، الآن تضرب جوانبهم، تسمع نجدات جنودك، اذهب وقل لهم ليدمروا قرى الإيزديين (في الحقيقة كانت كذلك، كما قال علي بك، دق المدفع الثالث والرابع وأخذوا أهدافهم، صوت العويل والصراخ للوحوش في داخل الوادي وصل إلى السماء)

- تمهل يا علي بك، أعطي إشارة لعداد المدافع ليوقفوا الحرب، كي نستطيع الاستمرار في المباحثات.

- أنت ملتزم بأوامر المتصرف وطبقتها، وأناً أطبق أوامري، لاشيء بيننا.

- باشا لم يأمرني، لكن أعطى الأوامر إلى ميرئالا، الآن واجبي، لن اتركهم يقتلون، بدون دفاع، يجب أن أحافظ عليهم.

- أتريد أن تلتزم بأفكارك، أنا مستعد لوقف الحرب، ونستمر في المباحثات مرة أخرى.

- تعال إلى الداخل (علي بك رفع عمامته من رأسه، وبها أشار إلى عدادي المدافع (التوبجية) لوقف القصف ثم دخل الخيمة) ماذا تريد مني؟(القائمقام سال علي بك)، نظر علي بك إلى الأرض وفكر بعمق، ثم قال: لست كذلك كي أزعجك، لذلك يجب أن أحافظ عليك، كل اتفاقية بيني وبينك ليست لمصلحتك، لان شروطي تصيبكم بالضرر، لذلك أنا سأتباحث مع الباشاً بنفسه، وستتخلص من المسؤولية.

- إني أشكرك يا بك (هكذا تبين أن القائم مقام لم يكن شخصاً سيئاً ، وفرح كثيراً بماً قال علي بك، لهذا كان شكره من كل قلبه)

- لكن أريد منك شرطاً (قال علي بك)
- ما هو الشرط !
- أنت مع العساكر، تبقون في معبد لالش كأسرى، لحين أنا والباشاً نصل إلى اتفاقية.
- اتفقنا، لان الذنب يقع على عاتق ميرئالا، هو السبب في كل هذا.
- ستنزع السلاح أيضا؟
- هذا عيب لي.
- انتم كأسرى حرب، تستطيعون الحفاظ على السلاح؟
- إني موافق، نبقى كأسرى حرب، في معبد لالش، وعدم مخالفتها، لحين معرفة ما يأمر به الباشا.
- إذاً لم تلتزم بالاتفاقية، إنها ليست لصالحكم، سوف تطحنون
- بك، أنا أقول الحقيقة، ظروفناً صعبة جدا، لكن لتعلم كم هي قوة ألف مقاتل، إذاً حاربوا؟
- اعرف ذلك، لكن لم يبقى منكم احد.
- لكن سيقتل منكم أيضا، واعلم أيضا، الآن تحت لواء متصرف الموصل العديد من القوة العسكرية، سيأتي لنجدتنا، كذلك فكر بالجيش الموجود في كركوك والسليمانية وديار بكر وأماكن أخرى، سيأتون لنجدتناً بالمدافع والأسلحة، الظروف لن تأتي على مرادك.
- أتعتقد سأتخلى عن الانتصار الحالية، لأنه ليس بعيداً أتضرر بها، ليأتي المتصرف لنجدتكم بعدهاً سوف تقتلون جميعا، سأقول له هذا، أنت تعلم، إذاً طلبت النجدة، فان القبائل والعشائر الكردية برجالهاً ونساءهاً سينهضون ويلبون النداء ويقفون ضد باشا الموصل، لكن أريد السلام لا أريد الحرب، أستطيع جمع العديد من القبائل والعشائر حولي وأشعل بينهم مشاعل الثورة، لكن لا افعل ذلك، إذاً التزم المتصرف بالحقيقة،

إذاً لم أعطي وعداً للسلاح، لم كنت انزع منك ومن جيشك السلاح، يجب على الباشاً دفع ضريبة هذا الوعد.

ـ مع من عقدت هذه المعاهدة؟

ـ الايزدية لا يخونون أصدقائهم، ليبقى سلاحكم عندكم، لكن سلموناً العيارات النارية والمخازن واعدكم في حالة عدم الحاجة إليها، ساردهماً إليك.

ـ إذاً سلمت لكم العيارات النارية، كأنما سلمت إليك الأسلحة (ضحك علي بك)

ـ حسنا"، لتبقى لديكم أيضا، لكن عندما يجوع جيشك، سأبيعك الطعام، مقابل البنادق والمسدسات، هكذا لن تصبحوا أسرى الحرب، بل اتفاقية بيننا لوقف الحرب.

ـ اتفقنا، الآن أستطيع الذهاب.

ـ أنت ترى، إني واسع الصدر، والآن استمع إلى شروطي، ستبقى في المعبد ولا تتصل بالخارج ولا تتحارب مع مقاتلي، ستحترم مزاراتناً ودورنا، لا يجوز مروركم بدون علمنا، ابقوا في مكانكم الحالي، نحن نبقى في أماكننا الحالية، سنستمر في الحرب، إذاً دعاني متصرف الموصل للحضور عنده، كل محاولة منكم، للهروب، أو أي عمل مخالف لهذه المعاهدة، عندها نحن أحرار ولا نلتزم بالمعاهدة، ومن جانبنا، سنحترم هذه المعاهدة، أنت موافق؟ (بعدها فكر القائم مقام وأضاف إليها بعض الأشياء غير المجدية، وافق على هذه الشروط ،حاول إطلاق سراح رئيس الكودجية ،لكن كانت المحاولة دون جدوى ،هذه المعاهدة كتبت من قبلي على الورقة وأمضى عليها الاثنان ،بعدها ذهب القائمقام إلى الوادي عند جنوده مع حراسه الثلاثة بعد إطلاق سراحهم .، الآن بقى بالي في انتظار أوامر علي بك .

ـ أتريد أن تكتب رسالة إلى باشا الموصل باسمي (سألني علي بك)

- على عيوني، ماذا تريد أن تكتب فيها

- أكتب فيها، حالة جيشه، أريد أن نتباحث معه، أما هنا أو في الجراحية، لكن لا يجوز جلب أكثر من خمسين شخص، كذلك الابتعاد عن كل أنواع العداء معنا، هذا الاجتماع بيني وبينه وبعد غد ظهراً تبدأ، وفي حالة عدم الحضور سأقتل رئيس الكودجية واضرب جنوده بالمدافع، كذلك سأفعل هذا في حالة قيامه بأي عمل عدائي ضدنا، تستطيع أن تكتب ما قلته؟

- نعم.

- سأعطي بعض النصائح الخاصة إلى بالي، ما تستطيع اكتبهاً على السرعة، كي يذهب (بعد دقائق، أتيت إلى داخل الخيمة، وضعت الورقة على ركبتي، وبقلمي الرصاص، وعلى طريقة الشرقية، كتبت من اليسار إلى اليمين، لم يمر نصف ساعة، حمل بالي الرسالة وركب فرسه واتجه نحو طريق باعذرة.الترك أتلفوا عيد الإيزدية وعقدوها، أصاب قلوبهم، لكن كبرت فرصتهم وازداد سرورهم عندما رفع عنهم التهديد الكبير.

- الآن ماذا ستفعلون بالعيد (سالت علي بك)

- يجوز أن يبقى الجيش التركي في معبد لالش لعدة أيام، الايزدية لا يستطيعون الانتظار هكذا أما سأفعل لهم عيداً أكبر من هذا العيد، الذي ينتظرونه (هو أجابني) أتعلم جيداً بموقع وادي إيدز؟

- نعم.

- لديك وقت، اركب واذهب إلى هناك ،اجلب معك أمير الشيخان والقوالين تعال ،سنذهب ونلقي نظرة على جسم بير كمك ،ونخرجه من الرماد وندفنه في وادي إيدز .

(في الحقيقة إن هذه الفكرة عند الايزدية قد فرحت به كي أرى كيف يدفنون موتاهم، أخذت بمعييتي خلف، تركت بولوك

أمين هناك، في الحقيقة قلت أدل على وادي إيدز، لكن لم اذهب من معبد لالش إلى وادي إيدز، كنت قد ذهبت من طريق باعذرة، وعلي بك كان يعتقد باني ذهبت من المعبد إلى وادي إيدز بمعية ابن زلك، واني لم اقل له، باني لم اذهب سابقاً من هنا إلى الوادي.وكنت سعيداً بان أمشي إلى الوادي بدون دليل هل سأدل على الطريق أم لا من أجل الإدلاء على الوادي لم آخذ خلف، امشي على آثار أقدام الايزدية قبل اليوم، سيوصلني إلى الوادي مباشرة، ركبت ومشيت نحو اتجاه وادي إيدز، وصلت إلى مقابل المعبد وعندما عبرته رأيت الكثير من الايزدية وعبرتهم، ثم التفت يساراً نحو الغابة، لم تكن صعبة للحصان، يمشي على آثار أقدام الإيزديين، لزمناً الأثر واستمرنا، حتى رأينا، نحن في ذلك المكان، المكان الذي كنت مع مترجمي، نزلناً من الأعلى إلى الأسفل، رأيناً الحراس هناك، ترجلناً من فرأسناً نزلناً إلى الأسفل، عندما كناً ننزل من خلال القمم رأيناً منظراً جميلاً في الوادي، الآلاف من النساء والأطفال اخذوا أماكنهم الجميلة وعملوا مخيماً لهم، فروسهم مع أبقارهم يسرحون هناك، الأغنام والماعز على بطون الوادي الجميع في حالة الصمت، يتحدثون بهدوء، كي لا يدل احد على مكانهم، أمير الشيخان وشيخ القوالين جالسين عند الماء، استقبلوني بحفاوة، لأنهم لحد الآن يعلمون بان العدو لم ينتصر وانهزم، لا يعلمون المزيد.

- مزار شيخادي لم يصب بأذى؟ (هذا كان السؤال الأول سألني أمير الشيخان)

- المزار وجميع الأماكن المقدسة بخير

- سمعت عن المعركة، قد نزف دماً غزيراً

- فقط من العثمانيين

- ومن جهة الأيزديون

ـ لم، اسمع، بان شخصاً ايزدياً قد قتل أو جرح، الحقيقة تم قتل اثنين، أنهما ليسوا في المعركة قد قتلا.

ـ من هم؟

ـ الأول هفي السراج، من أهل بازوني والآخر ــــــــــ

ـ هفي البازوني؟كان إنساناً مؤمن بالله وشاطر وبطل،

ـ لم يقتل في المعركة

ـ لكن كيف قتل؟

ـ علي بك، بعثه كرسول له إلى الترك، من اجل البدء بالمباحثات، إنهم قيدوه ورموه بالرصاص، تألمت عليه كثيرا، لكني لم استطعت إنقاذه (الشيخ والبير والقوال، انحنوا برؤوسهم، وتدخلوا بأيدهم وبقوا صامتين، فقط أمير الشيخان نظر لي بحزن وقال بصوت عميق: إن روحه قد تقمص، لا تضربه الشمس، انه تقمص في مكان، تحت أشعة شمس عالي، سنراه في ذلك المكان مرة أخرى، هناك لا موت، لا قبر، لا آلام، لا هموم، الشمس الدائم، الراحة الدائمة، لذلك هو عند الله (لقد تألموا بسماع قتل صاحبهم، لكنهم تلقوا الخبر بصدر واسع وقلب صبور إنهم يسعدون أنفسهم بالتقمص، ولم ينطق أحداً كلاماً سيئاً للقاتل، لا ترى هذا النوع من الوقوف والانحناء عند المسلمين، لكنهم اخذوا فكرة الايزدية والمسيحية ويتمسكون بها)

ـ ومن هو الآخر(سألني أمير الشيخان مرة أخرى)

ـ ستخاف !

ـ لا نخاف من الموت، لان الموت رفيق كل إنسان، وهي نهاية الذنوب وبداية الراحة،من هو؟

ـ بير كمك (فجأة أرعش الجميع وتألموا، لكن لم ينطق أحد منهم، وهذه المرة أيضاً نطق أمير الشيخان: هذا المقدس قد تقمص أراده الله، قل لناً كيف مات

ـ قلت لهم بدقة، وهم استمعوا إلي جيدا، ثم طلب منهم أمير الشيخان وقال: أيهاً الأخوة لنقف حداداً على روحه، الجميع انحنوا برؤوسهم وبدأوا بالصلاة، لا اعرف، لكن رأيت عيونهم مبللة بالدموع، حبهم ووفاءهم كان من أعماق القلوب، نستطيع القول، بان هذا الوفاء والحب، موجود فقط عند الألمان إذاً كان هذا صحيح، فان الايزدية يشبهون الألمان، ماذا أنا كي أفرح قلوبهم، إذاً رحمة الله ونظافة المسيحية، قد نور ظلام وديانتهم، وطعموا رؤوس جبالهم بالذهب، قليلاً طال صلاتهم، لأقول لهم مرة أخرى، بان علي بك قد أرسلني، لأجل أخذكم معي إليه، كي نخرج جسم بير كمك من الرماد وندفنه هذا اليوم في الوادي.

ـ نعم هذا مهم، يجب تنفيذ هذا العمل، لن ترتاح عظام بير كمك في مكان فيه ميرئالا.

ـ خوفي أن لا نرى عظامه ونرى الرماد فقط.

ـ استعجلوا لنذهب (سلكنا الطريق، جميع الشيوخ والقوالين أتوا، لكن بقى الفقراء هناك، كي يراقبون الوادي، عندما وصلنا خيمة علي بك المقابل للمعبد، انه بعث بشخص إلى القائم مقام، هل سيقبلون لهم بالبحث عن عظام بير كمك وجلبها، وثم دفنها عندنا، أتى جواب القائمقام بـ نعم، فقط كان شرطه عدم مجيء احد بسلاح، علي بك لم يستطيع المجيء مع أمير الشيخان، لأنه يجب أن يراقب الوضع وينتبه إليه، طلبت منهم أن أكون معهم إنهم لبوا بطلبي بكل سرور، لم يبقى شيء ننسى أناءاً، كي نضع فيه رماد لبير كمك المقدس، لكن علي بك قال: لقد فكرت بذلك.

ـ يا أمير الشيخان، أتعلم بان بازوني هو صانع الجرار والمشارب والأواني الفخارية، صنع لوالدي حسين بك جرة ماء، كناً في انتظاره عندما يحن الوقت، نعزل عظامه من التراب ونشارة خشب الصناديق ونضعه في تلك الجرة.

ـ هذه الجرة قطعة فنية جميلة، من الضروري أن تضع فيها عظام بير كمك، انه موجود في بيتنا في باعذرة، قبل الآن أرسلت شخصاً لجلبه، سيأتي بسرعة، قبل انتهاءكم من عملكم في كومة رماد الحطب (هذا الكلام يكفي، القافلة هيأت نفسها، نزلتا من الأعلى نحو الوادي، عبرنا عند الرسول، وصلنا إلى مكان بير كمك الذي اخذ ثأره من ميرئالا، رأيت كومة من الرماد هناك، مخلفات الحطب المحترق، جثة رسول علي بك المقتول بالرصاص كانت موجودة بجانب تلك الكومة، حرارة لهيب النار قد أحرقت ملابسه، لكن النار لم تؤثر على جسمه، لعدم استطاعتناً العمل، من رائحة جثته، الرماد باردة، الأدوات المطلوبة كانت موجودة في الدور، الجميع بدأوا يرفعون الرماد، العمل كان يجري بانتباه شديد وببط، وقد رأيناً ذلك الايزيدي قد جلب جرة وكان يمتط بغلاً ، ووضع الجرة على ظهر البغل، وهو يشبه زجاجة لمبة، عندما تضع رأساً ، فيه مدخل، الرسوم عليها صورة الشمس، ومكتوب عليها بعض الكلمات بالكردية، كنت أرى من الصعوبة عزل رماد بير كمك عن بقية الرماد، لكن عندما وصلنا إلى قرب الأرض، كان هناك كومين من الرماد مفروشين، توقف الجميع وفكروا فيهم، لا احد يعرف ايهما لبير كمك والآخر لميرئالا، قال لي أمير الشيخان، انظر إلى الكومتين، لم يكن من السهولة التعريف بين الاثنين، كان يجب على المرء أن يسد فمه وانفه، أمامنا جثة الاثنين، الجثث المحترقات إلى النصف، وأصبحتا أفحما، ثلاثة أرباع من أجسادهم متداخلات، المتبقي ملتصقة مع بعضهما)

ـ أنهم موتى (قلت أنا) انتم مطلوبين إلى هذا الرماد المبارك كي تدفنوه.

ـ نعم، لكن أين رماده؟

- انظروا (أردت أن اعلم، مدى مستوى معرفتهم، إنهم اتعبوا ذهنهم، كي يعرفوا أي رماد لبير كمك، لكن دون جدوى، يبدوا انه من الصعوبة عليهم، لكن السؤال كان سهلاً)

- الإنسان لا يستطيع التعريف بينهما (قال أمير الشيخان بالتعقيد)، أما أن نترك ذلك، ورفع حقه عنا، وأما أن نضع الاثنين في الجرة، الصديق والعدو، عباد الله وعدو الله، أم لديك علم آخر يا كارابن نمزي؟

- أنا أعلم بشيء أفضل.

- ما هو الشيء؟

- نضع رماد بير كمك فقط في الجرة.

- الم تسمع، لم نستطيع التعريف بين الكومتين؟

- هذا سهل، هذا بير كمك وهذا تركي.

- كيف أعرفت، أن تفرق بينهما؟

- لأجل ذلك أطمئنكم، بير لم يكن مسلحاً ، لكن ميرئالاً كان يحمل السيف والخنجر ومسدسه، الرماد الذي فيه السيف والخنجر والمسدس هو رماد لميرئالا، والكومة الأخرى لبير كمك.

(تعجب الإيزديين، الجميع أيدوا كلامي، وضعوا رماد بير كمك في الجرة.في هذا الأثناء، وقف القائمقام مع بعض رجاله بالقرب منا، وفي النهاية تركناً رماد ميرئالاً في مكانه، وعدناً إلى علي بك، هناك كان علي بك في انتظارناً وطلب من أمير الشيخان كي يعطي الأوامر، لعقد مراسيم دفن جثمان بير كمك.

- يجب تأجيل دفنه إلى يوم غد (قال أمير الشيخان)

- لماذا؟

- لان بير كمك كان أكبر عالم وصاحب اعتقاد عند الايزيدية، يجب دفنه حسب العادات والتقاليد، اليوم متأخر وغداً سيتم دفن الجثمان.

- هكذا ستحتاج إلى نجار وبنائين؟

- لا، سنبني المزار مباشرة من الحجر، لا نحتاج إلى شيء، ولكي يشارك جميع الحجاج في هذا الخير، على كل رجل، امرأة، طفل، جلب حجرة لعمل مزار لبير كمك يليق به.

- لكني بحاجة إلى الرجال، لحراسة الترك (لم يوافق علي بك وبين عدم رضاه)

- يجب عدم إتيان الناس معنا، يتبادلون، هكذا في الأوقات يبقى لديك رجال للحراسة.تعالوا فكروا نرتب ونبني أية نوع من البناية (هناً لم أتدخل، لم أشاركهم، لذا ذهبت عند مترجمي، كي يعطي لي كتاب بير كمك، وقد احفظهاً في ثغرة شجرة، وقد جلسناً عند تلك الشجرة بصمت، وقد بدأت بتماريني اللغوية، قضيناً بهاً يومنا، بعدهاً عصراً ، في الأماكن العالية ما يدور حول وادي معبد لالش بالقرب من البعض، أشعلت نيران الحراس، لم تكن معقولة، إنها نيران الترك، إنهم تحضروا للهرب والقائم مقام يخالف بوعده، لكن تلك الليلة المظلمة مضت بدون مشاكل، صباحاً عاد بالي من الموصل، اجتهاده وسرعة فرسه قصر مسافة بين معبد لالش والموصل، كنت نائماً في خيمة علي بك، عندما جاء بالي

- رأيت المتصرف (سأله علي بك)

- نعم مولاي، رايته في المغرب.

- ماذا قال؟

- في البداية غضب، وأراد قتلي، لكن بعدهاً نادى على أربعة من ضباطه ومستشاريه (أهل الثقة) واجتمع بهم لفترة طويلة تباحثوا فيما بينهم، وأخيراً سمحوا لي بالعودة.

- حضرت تلك المباحثات؟.

ـ لا
ـ ما هو الجواب الذي حملته؟
ـ حملت لك رسالة منه.
ـ أعطيني (خرج بالي الرسالة من جيبه وأعطى لـ علي بك، الرسالة مختومة بختم المتصرف، علي بك فتح الرسالة وفكر في سطورها، مع هذه الرسالة هناك رسالة قصيرة مفتوحة، فأعطاني الرسالتين)
ـ اقرأ يا أمير، أريد أن أعرف، ماذا قرر المتصرف (هذه الرسالة مكتوبة من قبل كاتب الباشا، وكتب اسمه أسفلها ووعد فيها، بالحضور غداً إلى الجراحية مع عشرة من رجاله، كي نحل المشكلة بالطرق السلمية، كذلك يجب أن يكون مع علي بك بقدر رجالي، وطلب في هذه الرسالة الصغيرة المكتوبة فيه أمراً ، بإيصاله إلى القائم مقام، بلا شك النص الموجود فيه ما يخص السلام والراحة، لحين وصول الرجل، إلى كافة الأعمال العدائية الحقيقية، احترام مكان معبد لالش، رافق الإيزديين ، وهذه الملاحظة كانت معها، اقرأ هذا الأمر جيدا، ارتاح علي بك من مضمون الرسالة، انحنى برأسه وفكر جيداً ، وبعد استراحة قصيرة، قال:لقد استفدنا، كتب المتصرف ملاحظة
ـ هل لاحظت ذلك؟من الضروري إيصال الرسالة إلى القائم مقام، وحضوري غداً في الجراحية.
ـ لماذا إيصال الرسالة إلى القائم مقام؟
ـ لأنها موجهة له.
ـ لكنها زائدة، لأنه سبق وابلغه بفحواها.
ـ سيطمئن أكثر، عندما يرى متطلبات المتصرف.
ـ أقول لك الحقيقة، إني اشك في هذا الأمر المكتوب.
ـ لماذا؟

ـ لأنه زائد، هل لاحظت الكلمات الأخيرة والسلام، أن يقرأ القائمقام هذا الأمر جيداً ؟

ـ هذا يزيد من اعتقادنا بان المتصرف يعني السلام ،كذلك سيستمع القائمقام جيداً إلى السلام والالتزام بالموعد .

ـ الالتزام بالموعد واضح، من اجل ذلك اشك في هذه الرسالة.

ـ هذه الرسالة ليست لي، حملني المتصرف أمانة، كي أوصلها إلى القائم مقام، يجب إيصالها إليه.

(هذا ما أراده علي بك، كي أتابع الكلمات، فجأة، دخل علينا إيزيدي وقال: مولاي، هناك فارس يأتي من الوادي إلينا، وقد خرجنا، لم تمر فترة، قرب القائمقام، عرفناه، لم يكن أحداً معه،جاء لوحده، انتظرنا في الخارج)

ـ السلام عليكم (عندما نزل من فرسه، صافح علي بك، ثم صافحني)

ـ أهلاً وسهلاً بك (رد عليه علي بك) بأية خدمة أتيت؟

ـ مقاتلي أصبحوا بلا خبز

ـ بدون مقدمات قال القائمقام ما يقصده (ابتسم علي بك)

ـ كان يجب أن انتظرهم، لكنك تعلم، نبيع الخبز مقابل الأسلحة فقط

ـ أتقول هذا لي سنعطيك النقود مقابل الخبز !

ـ ما يقول بك الايزدية، هو يدرك لماذا يقول، أنت بحاجة إلى الخبز، وهو بحاجة إلى الأسلحة والانطلاقات.

ـ سنتبادل، سنساعد فيما بيننا.

ـ أنسيت إني بحاجة إلى الأسلحة والعيارات النارية !

ـ وأنت نسيت كذلك، أنا أيضاً بحاجة إلى الخبز، الآلاف من الايزدية قد تجمعوا حولي، الجميع بحاجة إلى الأكل والشرب، لماذا أنت بحاجة إلى الأسلحة، السنا أصدقاء؟

ـ نعم، مادام هناك وقف إطلاق النار.

- إنشاء الله – ستدوم صداقتنا، يا أفندي أتمنى أن، اقرأ له يا أمير (قرأت الرسالة للقائمقام، التي كانت معي (لم أرى التأمل في وجه القائمقام)

- حسناً الآن السلام مستمر بيننا (قال القائمقام)

- نعم (أجابه بك) لحينهاً يجب أن تلتزم بالسلام، كما أمرك المتصرف بأمر خاص لك.

- بأمر خاص؟

- انه بعث لك الرسالة، يجب أن أعطيك.

- رسالة؟ لي؟ (نادى القائمقام) أين؟

- عند كارابن نمزي أفندي، سلم رسالته يا أمير.

- سلمت إليه رسالته، لكن الضعف، جعلني أن أكون شاكراً)

- من فضلك أن اقرأها لك (قلت للقائمقام، لقد قرأت له، لكن إلى الملاحظة الأخيرة تلك الملاحظة التي أشك فيها، هذا كل ما موجود لم يبقى شيء؟)

- بقى جملتين اسمع إليهم !

(الآن قرأتها إلى النهاية، فنظرت إلى وجهه، هل سيتغير ملامح وجهه، لفترة قصيرة فتح عينيه جيدا، لكنه تأكد بوجود سر في الجملتين الأخيرين، لكن لم نعثر عليه)

- هذه الرسالة، لي، هات (بتلك السرعة الفائقة اخذ الرسالة من يدي، قلت انه اخلص نفسي منه)

- لماذا بهذه السرعة يا قائم مقام؟(رسالته هل من مهم في الجملتين الأخيرين)

- لا ، لا يوجد مهم قط ،لكن الرسالة لي .

- المتصرف أرسله إلى علي بك، له الحق أن يقراه لك أو أن يعطيها لك.

- قبل الآن قد قال لك، أن تعطيني الرسالة لي.

ـ مع ذلك عرفته، نعم، هل من المهم أن تأخذه؟ من فضلك أن انظر إليها مرة أخرى (الشك عندي ازداد بدلاً من أن يضمحل، أخذت الرسالة وقربتها إلى عيوني والشمس، لكن لم أرى فيها شيئا، ظهر لدي شك، لكن بدون نتيجة، الآن عرضتهاَ إلى الشمس طويلاً وأمعنت فيها جيدا، الآن تبين لي الكثير من الأشياء، في الحقيقة إذاً لم ينظر الإنسان إليها جيداً وبعيون ثاقبة، لا يرى شيئا، لان الكلمات السرية المكتوبة، قد ضاعوا في ألوان الرسالة، لكن لون الحروف باقية)

ـ لن تأخذ هذه الرسالة (قلت للقائمقام)

ـ لماذا؟

ـ لوجود كتابة سرية فيها، سأحاول تصفيتها، (غير لون وجه القائمقام)

ـ أنت مخطئ يا أفندي.

ـ إني أرى جيداً (للتأكيد، قلت له الأكثر)

(من اجل قراءة الكتابة السرية، سأضع الرسالة في الماء)

ـ ضع فيه (قال القائمقام بحماس)

ـ أوضحت نفسك بهذا السرور، يا قائم مقام، لن أضع الرسالة في الماء، بل سأوجهها إلى النار (أدركت كيف الزم الرسالة، بدون خوف وأمام عينيه قابلتها للنار)

ـ هكذا ستحرق الرسالة (قال القائمقام)

ـ لا تحمل هماً، الأفندي من الغرب، يعرف كيفية التعامل مع هذه الحالات (تعجب بك)

ـ أشعل نارا، سأبين لك، (مازال بالي موجود هنا، بإشارة من علي بك، جمع الحطب والقرش وأشعل نارا، جلست على ركبتي أمام النار، ووضعت الرسالة بانتباه في يدي وقدمت الرسالة لحرارة النار، القائمقام رمى بنفسه على يدي كي يأخذ الرسالة ويمزقها، كنت أعلم بأنه سيفعل ذلك، فرميت

نفسي جانبا، إنه من الأعلى وقع على الأرض، فرمى علي بك نفسه على الرجل

- يا قائمقام تمهل (قال له علي بك) لست من أهل الثقة، أنت مخطأ، جئت بدون أمر، لذا فأنت أسيري، (أراد القائمقام الدفاع عن نفسه، ولكوننا نحن ثلاثة، وهو الوحيد، كذلك الإيزديين التفوا حولنا، جردناه من السلاح، وربطناه بداخل الخيمة، الآن بالراحة سأقوم بعملي قابلت النار، لم يبقى شيء وتحترق، تبين الكلمات السرية بوضوح، الجميع مكتوب في حواشي الجمل.

- علي بك، أترى، كنت على حق؟.

- أمير، أنت عالم !

- لا، لكني أعلم كيف للمرء أن يقرأ مثل هذه الرسائل.

- يا أفندي، أن الحكمة الألمانية عظيمة.

- إلا يعلم المتصرف بهذا الفن؟ يوجد معدن، الإنسان يستطيع أن يستخرج منه الحبر، لم يظهر على الورقة، لكن مع مادة أخرى تظهر تلك الكتابة، يقولون عن علم هذه المواد بـ الكيمياء هذا العلم متطور لدينا أكثر من بلدكم، لذلك أدويتنا متطورة أكثر من أدويتكم، نحن نعلم بالعديد من أنواع الكتابات السرية، التي بصعوبة معرفتها، لكن كتاباتكم السرية يمكن معرفتها بسهولة، لا يطلب معرفة إضافية، فكر فيها، بماذا كتبوا هذه الكلمات

- قل

- بالبول

- لا يجوز؟

- إذاً كتب ببول الإنسان أو بول الحيوانات، عندما تتيبس الكتابة، تختفي، وعندما تواجه الرسالة أمام لهيب النار سيسود السطور، ثم تستطيع قراءتهاً

- ماذا جاء في تلك الكلمات؟

- سأتي بعد غد كي نصعد
- صحيح؟الست مخطئا؟
- هنا مكتوب بوضوح؟
- اعطني هذه الرسالة (غضب كثيرا، أتى وذهب، ثم وقف أمامي مرة أخرى)
- هذه خيانة، أم لا، يا أمير؟
- هذه قذارة القلب.
- يجب أن أقتل المتصرف؟ إنه في يدي
- بعدهاً ستلقى عقوبة من السلطان .
- أفندي، الروس لديهم مثل يقول:السماء عالية وقيصر بعيد، هكذا مع السلطان أيضا، أنا سأحصل على النصر.
- لكن ستنزف دماً غزيراً ، الم تقل لي سابقاً ، انك تحب السلام؟
- أنا أحب السلام، لكن لذلك يجب أن تسنح لي الفرصة، الترك أقدموا على إزالة استقلالنا وأخذ أموالناً وأملاكناً وحياتناً بالقوة، الذي حافظنا عليها
- الآن شكيب خليل باشا يغزل بخيانة لحياكتها، فيجب أن أدافع عن نفسي؟
- يجب أن تدافع عن نفسك، لكن ليس بالسيف
- لكن بماذا؟
- بهذه الرسالة، بهذه الرسالة قف مقابله، انه سيهرب منك، وينهزم في المعركة.
- غداً إذاً ذهبت إلى الجراحية، سينصب لي فخاً كي أقع فيه.
- من قبض عليك، وأنت لماذا لا تنصب له فخا؟انك ستقضي عليه بسهولة، قبل أن يقبض عليك، لأنه لا يعلم، بأنك تعلم بحيلته، (علي بك فكر ثم قال: سأتكلم مع أمير شيخان، ستأتي معي إلى وادي إيدز؟

- سأتي معك.

- لكن قبل ذلك، يجب نزع أسلحة الجنود في الوادي، لا تأتي معي إلى الداخل، انتظرني هنا.

(لماذا علي بك لم يجلبني معه إلى الخيمة؟وضع يده على قبضة خنجره نظراته متجه نحو شيء ما، أراد فعل شيء بسرعة؟ انتظرته نصف ساعة، خلال هذه المدة سمعت صوتاً مزعجا، وأخيراً رأيت بمجيء علي بك، يحمل رسالة وسلمني وقال: اقرأ، أريد أن اعرف، هل وقعت في خطأً فيها، كتب القائمقام في هذه الرسالة، أمراً إلى جيشه، لنزع أسلحتهم للايزدية)

- هذه حقيقة، لكن كيف حصلت عليه؟

- كنت أقتله مع رئيس الكودجية، وأبدأ بضرب المدافع وأبدأ الحرب، خلال ساعة يتم تصفيتهم إذاً لم يوافق على كتابة هذه الرسالة.

- الآن يبقى القائمقام أسيرا؟

- نعم هو مع رئيس الكودجية سيكون تحت اليد

- وإذاً رفض الجيش نزع اسلتحه؟

- عندها سأنفذ خطواتي، أبقى هنا حتى أرجع، سترى هل الترك سيحترمونني أم لا؟

- (قال بعض النصائح، ثم نزل إلى الأسفل، في دقيقة، حضر جميع الإيزديين للحرب، من أعداد المدافع حتى المقاتلين، مائتي مقاتل إيزيدي مع ثلاثون بغلاً هناك حضروا للحمل، أكثر من هذه البغال كانوا من حملناهم المدافع إلى هنا، علي بك في حينه وصل إلى ضباط الترك، وتباحث معهم، من مكاني أرى نضال الإيزديين بوضوح، بعد فترة، رأيت ضباط الترك اصطفوا واحد وراء الآخر واتوا إلى مكان البغال، ووضعوا أسلحتهم، بنادقهم، مخازنهم، طلقاتهم، خناجرهم، سيوفهم هناك، ورجعوا إلى أماكنهم السابقة، لم

تمر ساعة عاد علي بك إلينا، وتعقبه قافلة البغال المحملين بالأسلحة ليرسلهم إلى وادي إيدز، الحراس خباؤا القائمقام في مكان، مكان رئيس الكودجية والضباط والمراتب الترك فيه، الذين أرادوا تدخين تبغ شيراز، الآن نحن أيضاً سرنا مع القافلة، كان معي خلف، لكن باشبزوخ ايفراً لم يكن موجودا، يبدو انه ذاهب لرحلة فوق ظهر حماره، في الطريق رأيناً الكثير من الإيزديين، يرجعون إلى معبد إنهم شاركوا في بناء مزار بير كمك، حين وصولناً مدخل الوادي، رأيت صورة حياة نضال ومثابرة في الجانب الآخر تجمع النساء، البعض منهن يدقن (الجاوة)، البعض يستعملن المطحنة اليدوية، البعض يعجن بالعجين، والبعض يخبزن، البعض يشعلن النار، البعض أعدوا لنا اللمبات والفوانيس، في الجهة الثانية في الأعلى هناك عمل دووَب مستمر من النساء ورجال والأطفال، الجميع منشغلين ببناء مزار بير كمك كل حسب طاقته يجلب حجرا أو صخرا، جمعوا كمية كبيرة من الأحجار، الأحجار الكبيرة والصخور الكبيرة يضعون في جدار المزار، ومن الأحجار الصغيرة بني الجدار الصلب، بنوا بناية فوق الحياطين، تمر من خلالها اثنا عشرة أشعة الشمس، ورتب المكان للجرة الموجود فيها رماد وعظام بير كمك، أمير شيخان كان جالساً بالقرب من المزار، كان يراقب بناء المزار، ذهبنا إليه مباشرة، علي بك بين له ما حدث، رآه رسالة خليل باشا، بعد انتهاء علي بك من كلامه، فكر أمير الشيخان بما قال له علي بك ثم قال لعلي بك ماذا تريد أن تفعل؟

ـ أنت أكبرنا، وذو حكمة، جئت، كي أخذ نصائحك لنا.

ـ قلت أنا أكبركم، الكبير يبحث عن الراحة والسلام دائما، وتقول أنا ذو حكمة، الله هو صاحب الحكمة، هو الأكبر، هو الأقوى، هو الذي يعطي القوة للذين لا يمتلكون القوة، يحافظ الذين لا سلطة لهم، وهو لا يريد أن ينزف الإنسان دم أخيه.

- هل الترك إخوتنا؟ مثل الوحوش هاجمونا!
- إنهم إخوتنا، مع ذلك لا يتعاملون معنا كإخوة، هل ستقتل أخيك، إذاً أراد السوء لك؟
- لا.
- إذاً تكلمت مع أخيك بالليونة أو الصلابة، لكن لا تحاول قتله، هكذا تحدث مع المتصرف.
- إذاً لم يستمع لي؟
- الله أعطى لمخلوقه العقل، كي يفكر به، كذلك أعطاه القلب، كي يحس، لا يفكر في كلام الناس، ولا يحس بحال أخيه المسيء والذي لا يحس بوجود الله، لذا هو يستحق العقوبة.
- يا أمير الشيخان سأستمع إلى نصائحك وأطبقها.
- اكرر سؤالي مرة أخرى، ماذا ستفعل
- سأذهب إلى الجراحية وبمعييتي عشرة من رجالي، لكن سيتبعونني مجموعة من المقاتلين، كي نقبض على المتصرف.لكن قبلها، اليوم سأرسل برجال الاستخبارات إلى الموصل، كوبونجيك، تلكيف، بازوايا، رأس العين، خورسباد، كي نحصل على معلومات حقيقية في الوقت المناسب، سأتكلم بليونة مع المتصرف، ثم بصلابة إذاً لم يسمعني، وإذاً لم يحترمني، ساسلمه رسالته السرية وأشير إلى رجالي ليقبضوا عليه، عندما أبدأ بالمباحثات معه، يجب أن تكون الجراحية مطوقة من قبل رجالي، لن يتخلص من يدي.
- ليس بعيداً انه بعث برجال الاستخبارات، وأنت ماذا أعدت للاجتماع.
- انه لا يعلم بعملنا، لان المقاتلين، في هذه الليلة سيخرجون، لن يذهبوا في الطريق العام باعذرة.بل سيذهبون يميناً عند قرية بوزان، إنهم غداً صباحاً عند شرق ماء الجراحية.

- من سيكون في مكانك في المعبد؟
- أتريد أن تكون في مكاني.
- أريد (هذا الاستلام كانت بسهولة، رئيس الجيش والمدنية، بلا شك، بكل اعتقاده إني كبير الروح والآخرة، انه تنزل عن مسؤولياته. (أتريد؟) سأله علي بك (نعم أريد) (أجابه أمير الشيخان) عزف لحنا عذبا من الكلمات الحربية من لهجة الإيزديين، أردت أن اعرف أخبار معبد لالش والترك والمطوقين وعيد اليوم، لذا ذهبت عند بداية الطريق، المجاميع الآتين من لالش، لكني رأيت فجأة ورائي، منهك ويتنفس بصعوبة، ناداني، كن على جانب ياأستاذ (التفت ورائي رأيت خلف، ما يمتلك من قوة حمل حجراً ثقيلا، ويأتي هنا).
- ماذا تفعل هنا؟(قلت له)
- أنا أشارك في بناية مزار بير كمك.
- يقبلون الايزدية؟ وأنت لست ايزدياً!
- يقبلون بكل سرور، لقد سألت.
- لذا سوف اجلب حجراً أيضاً (ليس بعيداً عني هناك حجر كبير وجيد، نزعت سلاحي وسترتي، حملت ذلك الحجر، وجلبته إلى مزار بير كمك، وهذا كان محل شكر من قبل الشيوخ، بعدها برأس سيفي نحتُ أسمي على ذلك الحجر، إنهم بالحبال رفعوا الحجر ووضعوه في المكان المناسب له المقابل للشمس، في هذه الفترة التي مضت، نفذت ما أراد علي بك من العمل وأراد العودة مرة أخرى، سألني، هل سأعود معه، أو أود البقاء هنا)
- كيف بأفضل صورة سأرى مراسيم الدفن؟ (سألت علي بك) .

- إذ تأتي معي (أجابني) اليوم مساء وعلى نور الفوانيس والمشاعل سنجلب جرة رماد بير كمك من معبد لالش إلى وادي إيدز.

- أتعتقد، انه هنا.

- لا، بعثوه إلى الغابة، وضعوه في الماء البارد، ثم نبعثه إلى المعبد المبارك.

- على أنف الأتراك؟

- لا يستطيعون فعل شيء.

- إذاً كان كذلك سأتي معك.

- لديك الوقت حتى المساء، في هذه الفترة تستطيع تقديم خدمة لي؟

- أهلاً وسهلاً، أن استطعت.

- أتعلم، إني قد وعدت رئيس البهدينان، أن أهديه بنادق، لك معرفة بموقع مخيمهم؟

- بسهولة - إلى هناك يجب على المرء المشي على الأرجل، لان الطريق متعرج وصعب، وأنا أقول هو في انتظار ذلك، الشخص الذي يحمل هذا الخبر.

- أتود إيصال هذه البشرى إليه؟

- نعم.

- تحمل إليه البنادق؟

- إذاً تحمل على ذمتي هذه المهمة.

- يجب أن أعطيه مئة بندقية مع العيارات النارية، ثلاثة بغال يستطيعون حملها، كم من الرجال تود أن يكون معك؟

- في الطريق، هناك مخاوف أو عداوة؟

- لا، الطريق في مأمن.

- أعطني عشرة مقاتلين، سيكون شيخ محمد أمين معي أيضا، ذلك هو أتى إلينا من هناك(كنت أدرك أن شيخ محمد أمين قد ذهب إلى الصيد، لم أراه يوم أمس، انه قليلاً يظهر

نفسه، كي لا يكون حديث الناس، إنه نار الإيزديين، لذلك كان يود المجيء معي، لم تمر فترة، تم تهيأ البغال وحمولتهم، بدأت القافلة بالسير، عندما وصلنا إلى رأس وادي لالش، إنعكسنا نحو اليسار إلى طريق كلينية، خلف وادي لالش، رأيناً مجموعة من أكراد البهدينان، وقد وصلنا إلى حسين أغا، وهو بدوره استقبلنا بكل حفاوة، لم يقبل برجوعي إلا بعد إحضار وجبة طعام من قبل زوجته لنا، لقد فرح كثيراً بهذه البنادق وبالأخص بسيف القائم مقام، الذي أهداه علي بك إليه كهدية إضافية، لقد فرح محمد أمين كثيراً عند هؤلاء الأكراد، إلى حد قراره البقاء هنا لحين رجوعي إليه، بالرغم من كونه لا يجيد اللغة الكردية.

ـ مع ذلك لم أؤثر عليه بالرجوع معي، لان رؤيته من قبل الأتراك له خطورة، وخوفناً من رؤيتهم له يكون عقبة في طريقنا، أبقيته ورجعت لوحدي، حينماً وصلت إلى علي بك ، لقد حان المغرب، حملت إليه أخبار بهدينان، رأيت أن الترك قد انسحبوا نحو الوادي وتركوا المعبد المقدس)

ـ متى تبدأ مراسيم الدفن (سألت علي بك)

ـ مع الظلام، أحمل سلاحك معك، ستطلق إطلاقات كثيرة.

ـ اعطني بندقيتك، يجب أن لا أطلق إطلاقاتي، لان إطلاقات بندقيتي لا توجد هنا، (كنت أود ملاحظة مراسيم الدفن، كي أكون شاهد عيان، أعتقد لا يوجد قبلي شخص أوربي قد حضر مراسيم دفن الايزدية، جلست في صفحة الوادي لحين قدوم الظلام، مرة أخرى ظهرت نور المشاعل وأصبح الوادي كالنهار، وظهرت قمة المزارين المباركين مرة أخرى، القمم وصلوا إلى السماء، كما رأيت المرة الأولى، أبواب المعبدين تزين بالأنوار)

ـ تعال (علي بك كان يود أن نركب الفروس، بقى الباشبزوخ، خلف أتى وراءنا، ركبناً ونزلناً من الأعلى حتى

وصلنا إلى المزار المبارك، المزين بالمشاعل، مقاتلي الايزدية قد طوقوا ما حول المزار لعدم تقرب الترك إلى هذه المنطقة، عداً أنا وعلي بك، أمير الشيخان، شيخ وبير وفقير وقوال لا يجوز لأحد آخر الدخول، فقط نحن كناً موجودين في المعبد، هناك في فناء المعبد بغلين مربوطين وجرة رماد بير كمك مربوط بالحبال على ظهرهما، شيخ وبير وقوال شكلوا دائرة حول البغلين، عندما رآنا، ببط بدءوا بغناء الألحان المحزنة، وكلمة (أعطي الروح) كانت تذكر في كل مرة، بعدهاً تم أرواء البغلين من ماء عين البيضاء، وإعطاءهم العلف، هذه إشارة سيستمرون في الطريق.

- الآن أمير الشيخان، أعطى بعض الإشارات بالأيادي، لم أكن أفقه معناه، ومرة أخرى بدأت الألحان اللينة والمغزولة من أربعة اسطر، كل سطر يبدأ بهذه الكلمات (أنت تحب الله) للأسف كنت أجيد القليل من اللغة الكردية، كي اعرف ما يقولون بالكامل، عندما انتهى هذا اللحن، أشار أمير الشيخان، وأصبح في المقدمة ويليه شيخان لزموا لجام البغلين، وبعدهم شيخين ثم قوال ثم أنا وعلي بك، بدأت القافلة بالسير وخرج من المعبد المقدس، الحراس هنا استقبلوا القافلة بسلسلة من العيارات النارية كذلك وفي نفس الوقت بدأت صوت العيارات النارية تأتي من كل مكان وكل الحفر في الوادي هذه الأخيرة كانت إشارة بسير القافلة إلى وادي إيدز، صعدنا الوادي ببط، عندما سلكنا طريق وادي إيدز، رأيت منظراً جميلاً وساحراً، الايزدية من وادي لالش حتى وادي إيدز، في جانبي الطريق كانوا مصطفين واقفين بالترتيب، كل واحد منهم يحمل مشعلاً وبندقية، كل واحد نصل إليه يبدأ بإطلاق عيارات نارية ثم يسير وراءنا، هكذا مع كل خطوة وكل اطلاقة تطول قافلتنا، نور المشاعل قد أضاء ظلام الغابة، هنا أكثر الأشجار كانت مقطوعة، صوت العيارات النارية تأتي باستمرار، صداهاً تملأ

الوادي والغابة، هذه القافلة تزين بأجمل صورهاً عندما تم استقبالنا في وادي إيدز كأنما في هذا المكان انفجر بركان، النور في كل جوانب، المشاعل، الفوانيس، آلاف الأصوات تنادي، أهلاً وسهلاً بكم، هذا الوادي هكذا تنور، كأنما نهار، لكن النور الأقوى من ناريين المشعلين بجوانب مزار بير كمك، هذا الحزن المفرح، قد فرح بها قلبي، في نفس الوقت قد بلل قلوب الناس هناك، نزلنا عبر بحر المشاعل، وقفنا عند قبة بير كمك، لاحظنا عالمين روحيين بملابس البيضاء عند تلك الأحجار، عند سطح المزار يوجد العديد من الرجال، حاملين الحبال، بواسطتها يجرون تلك الجرة، عندما توقف البغال أمام المزار، انقطع صوت العيارات النارية، الوادي بصمت، رفعت الجرة من ظهور البغال، وربطوا الجرة بالحبال، ثم إشارة أمير الشيخان للرجال فوق السطح بسحب الجرة ووضعوا عند الشمس، الروحانيين وضعوا الجرة في مكانهاً الخاص، ثم نزل الروحانيين بواسطة الحبال، الآن أشار أمير الشيخان بأنه سيلقي الكلمة، انه ألقى كلمة هادئة وصافية وقصيرة، صوت كلمته انتشرت في الوادي، بالرغم من قلة معرفتي باللغة الكردية، لكنني تأثرت بها كثيرا، بعدها انتهى الأمير في كلمته، مرة أخرى بدأ القوالين بعزف الموسيقى والألحان الدينية، لكني كنت أفقه كلمة واحدة تتكرر دائماً (أشرقت الشمس)، بعد الانتهاء من الألحان، الجميع رفعوا أيديهم إلى السماء، كل مقاتل أطلق مجموعة من العيارات النارية، لحد الآن لم اسمع مثل هذه الأشياء، هكذا انتهت المراسيم، الآن مرة أخرى بدأت نضال وحركة الحياة، لم تكن هناك شيء كي أستطيع الاستمرار في وادي إيدز ليلاً ، هذه الليلة المليئة بالمشاعل بين مزار بير كمك والسماء ذهبت نحو الصعداء، هذه الليلة، تبين متطلبات وشكاوى المظلومين، هذه الليلة، اشهر الشيوخ والبيرانية والقوالين

الإيزديين بنوا جدارهم على الثلج، لهذا الحزن ومن القلب عبروا تلك الأنوار المستقيمة، تلك الأنوار التي أشعلها الشيوخ الثلاث، (رأينا نجمة في الشرق، اتبعناه، كي نصلي له)

جلست مع شيخ وبير وقوال إلى منتصف الليل، بعد إطفاء كافة المشاعل والأنوار، فقط عندما تغطيت باللحاف تحت شجرة، كي أنام، كانت تنور مشعلين على جدار قبة بير كمك، هناك في الأعلى جرة أعضاءه المباركة، هذا اعلم شخص وذو عقل بين أبناء شعبه، مع ذلك لم يعثر على الطريق المستقيم، كم هو لذيذ لو تولد هنا، واهتز مهده هنا، كذلك كم هو محزن، حتى هؤلاء يسلكون الطريق الصحيح، غمضت عيوني، نمت، لكني رأيت في المنام، من قافلة المشاعل، من اطلاقات البنادق، من كومة الحطب، من هذه الجرة، من هذه الجماجم خرجوا، إنهم أرادوا القبض علي أنا المسيحي، ويأخذني بين أياديهم عندهاً ظهر بير كمك، وضعهم جانبا، ودافع عني وقال: انه يمتلك كتاباً مقدسا، جاء فيها أيهاً الأطفال احبوا بعضكم:بعد ليلة المشاعل في وادي إيدز، ذهب علي بك مع عشرة من مقاتليه إلى الجراحية للتباحث مع باشا الموصل شكيب خليل باشا، لكنه أرسل قبله عدد من المقاتلين بالقرب من بوزان، المتصرف العدو حضر في الجراحية، لكن علي بك اعلم من خلال استخباراته، بمجيء الجيش التركي إلى ما بين سيكوخان وراس العين، الغرض من ذلك، هو في نفس يوم الاجتماع، الهجوم على معبد لالش، وعلى هذا الخبر طوق علي بك المتصرف وقبض عليه، ثم أطلق سراحه، مقابل عدم القيام بأي عمل ضد الايزدية ومعبد لالش.بعد انتهاء العيد، أردت الذهاب إلى العمادية، لكني علمت بان رجل شيخ محمد أمين قد رضخ في جبال الكلينية لهذا توجب علي البقاء عند الايزدية لمدة ثلاثة أسابيع أخرى، لحين شفاء رجل

محمد أمين، هذه الأسابيع الثلاثة لم تمر دون جدوى، هذه فرصة ممتازة، كي أقيم علاقات وطيدة مع الأكراد، ومستمرة لحد الآن، وأخيراً بعث لي شيخ محمد أمين خبراً بشفائه ومستعد للذهاب، هكذا هيأت نفسي للطريق بسرعة، كي اذهب مع شيخ محمد أمين إلى العمادية، أنا والايزدية ودعنا البعض بكل حفاوة واحترام ووعدتهم عند الرجوع بالبقاء عندهم لعدة أيام أخرى، في الحقيقة كنت لا أود أن يكون أحداً معي، لكن علي بك اجبرني، أن يأتي معي إلى بهدينان فقط، كي يودع شيخ محمد أمين هناك، الآن وصلنا إلى قمة تل العالي شرق لالش، نسينا أحداث الأسبوع الماضي، تأتي الأيام،ونرى ماذا يحملون معهم؟

ـ كلما صعدنا نحو شمال الشرق، كانوا الناس في الجبال أكثر غير متحضرين، لم يكن هناك أراضي للزراعة، كانت معيشتهم على اللصوصية ورعي الأغنام، استطاع علي بك أن يقرأ هذه الفكرة على جبيني

ـ يا أمير، ستذهب إلى طريق صعب وخطر (قال علي بك) أتريد إلى أية منطقة صعوداً تصل؟

ـ المرة الأولى أريد أن اصل إلى العمادية.

ـ يجب أن تذهب ابعد !

ـ لماذا؟

ـ إذاً انتهى عملك في العمادية، سيكون الهروب رفيقك، أم لا؟ ، نحن نعلم بذلك الطريق الذي يبعثون بها ابن شيخ محمد أمين إلى الحديدية، لكن الإنسان به يتلكأ، أتريد كيف تذهب بعدها؟

ـ أنا اذهب مع الظروف الصحيحة، نستطيع الذهاب نحو الجنوب، إلى الزاب الكبير، أو سنعبر نهر عقرة، ونستطيع الذهاب إلى الشمال عند جبال التيارية ثم رامان ـ داكه هـ، ثم

عند الخابور، ثم نعبر نهر دجلة نحو صحراء الملح، ومن هناك إلى سنجار.

- بهذه الصورة لم نلتقي مرة أخرى.

- الذهاب والرجوع، بيد الله، مصير الإنسان بيده (استمرينا في الطريق، خلف وباشيزوخ ايفرا أتوا وراءنا، فرسي انشغل في الرعي واستراح قليلا، تغير علفه، سابقاً كان يأكل التمور، الآن يجب أن يأكل شيء آخر، وتبين انه سمن وأصبح أكثر قوة، لذا يجب أن الزم اللجام عند امتنانه، كنت منفرداً بعض الشيء، أريد أن اعرف أيضا، كيف يجتاز بي فرسي عبر جبال الأكراد الثلجية، وصلنا عند أكراد البهدينان، استقبلونا بكل حفاوة واحترام، محمد أمين كان حاضراً للذهاب، بعد ساعة من الاستراحة وتناول الطعام والحديث والتدخين بالمشارب، بدأنا بالسير، علي بك صافح الجميع، وأخيراً صافحني ودار الدموع في عينيه).

- أمير ،أتعتقد - أني احبك؟(انه سأل بقوة)

- أدرك ذلك، الوداع لي حسرة وألم، روحي أتيت على المحبة.

- ستذهب وسأبقى أنا، لكن فكري سيكون معك، قلبي سيكون وراء اثر رجلك، انك ودعت أمير الشيخان، لكنه سلم لي بركاته، وأناً بدوري سأضعهاً على رأسك عند الوداع، الله يكون معك في كل خطوة ومكان، حقده يصيب عدوك، رحمته يرافق أصدقائك، وتكون تحت ظله، انه أهدى لك ملك تاووس، كي يكون في خدمتك مثل التسليم، اعرف انك لا ترى هذا الطير مثل الوثنية، بل مثل رمز الصداقة لنا، كل ايزيدي تُبين له هذا التاووس، سيفدي بروحه لك، خذ هذه الهدية، لكن لا تعطيه لأحد، لأنه لك لوحدك، الآن مع السلامة، لا تنسى الذين يحبونك (عانقني، ثم بخفة قفز على ظهر فرسه، قاده بدون الالتفات إلى الوراء.من جانبي، كأنه اخذ معه قطعة من قلبي،

الهدية التي بعثها لي أمير الشيخان من خلاله، كانت كبيرة، كبيرة جدا، الكثيرين جادلوا حول ملك تاووس، هذا التسليم الآن بيدي، في الحقيقة هذه مصداقية كبيرة من قبل أمير الشيخان بي، وهذا يعطي بنفس المعنى، يجب استعمال هذا التاووس عند المخاطر فقط، هذا الطير مصنوع من النحاس، الريش مفتوح، في الجانب الأسفل محفور فيها كتابة همشير بمعنى (الصديق) باللغة الكردية، فيه قيطان حريري، كي يعلقهاً الإنسان في عنقه،

((انتهت))

الخاتمة:

ما بذل الكاتب من جهد وإظهار حقيقة مأساة الإيزديين عبر الزمن من يد الظالمين والطامعين ، يشكر له، لكن كان الأفضل لو اعتمد على أصحاب الشأن الايزيدي حول المعلومات الدينية والتاريخية، ويبدو أنه اعتمد على الألمانيين وخاصة الكاتب هنري لايارد ، حيث مصدر معلوماته ، لان لايارد قد زار الإيزديين في معبد لالش وفي قرى عديدة سنة 1946م وكتب عنهم والتقى مع علماء الدين والمتنفذين من الإيزديين وخاصة بابا شيخ ناصر وامير الشيخان ، لكون مقر وظيفته كانت في الموصل وهو يعمل في (القنصلية الألمانية في الموصل).

على عجلة وببساطة أنهى الكاتب الحكاية ، لم يبين للإيزديين قرارات الاجتماع بين أمير الشيخان والمتصرف في الموصل (شكيب خليل باشا) وكيف تم إلقاء القبض على المتصرف وكيف تم احتجازه (على اية صورة) ثم يفرج عنه بشرط عدم الاعتداء والتعرض للإيزديين مرة أخرى ، لأنه في الحقيقة قد جاء من أجل الحيلة والاعتداء ، كان من الأفضل هناك طرف ثالث في المحادثات ، ليكون شاهداً لتطبيق القرارات بين الطرفين، لان المتصرف قد جاء أصلاً وهو يحمل الحيل ، كيف لا يخالف قرارات الاجتماع بعد ذلك ،

أين مصير جيشه المهزوم والقائم مقام ورئيس الكودجية وكل الأسرى، الم يكن للإيزديين دور في الاجتماع وفي الموافقة أو الرفض على قراراتهم؟ وكيف استقبل الإيزديين هذا النصر! كان من المفترض على الكاتب إكمال الحكاية ، بعدها كيف كانت معالم العيد الكبير بعد النصر العظيم؟، لان الإيزديين كانوا ينتظرونها بلهف، أرى لو أستطاع الكاتب أن ينبش أعمق ويفتش أكثر لكي يضيف مايقوي من أثر هذه المعركة في

التاريخ (للكورد الإيزديين) ويخرجها من مربع حكاية الأم لصغارها كي يناموا وتخلد أمهم إلى نوم أعمق؟

(المترجم)

المترجم فى سطور

مواليد 1964 ختارة / قضاء تلكيف /الموصل
حاصل على شهادة بكلوريوس في التربية/ قسم التاريخ
سنة 1986 عين لأول مرة في ناحية الإسكندرية/قضاء المسيب/ بابل
سنة 1988 سجن نتيجة مواقفه القومية وعدم الانتماء إلى حزب البعث وفصل من الوظيفة .ثم نفي لمدة سنتين وشهر إلى قصبة أم قصر/ محافظة البصرة على حدود الكويت
رئيس مركز لالش الثقافي والاجتماعي/ ختارة لثلاث مؤتمرات
رئيس تحرير مجلة زمزم لالش
نائب رئيس تحرير جريدة(ده نكى لالش)في دهوك سابقا .
نائب رئيس تحرير جريدة (كانيا سبى) في الموصل سابقا .
منذ سنة 1980 يكتب في الصحافة ،كتب العديد من المقالات في الصحف الكردستانية والعراقية والأوربية باللغتين الكردية والعربية، منها (هاوكارى،عيراق، خبات،كانيا سبى، زمزم لالش ، نور لالش،صوت لالش،خازر ، روژ في المانيا، چرا في هولندا...الخ)
عضو اتحاد نقابة صحفي كوردستان / موصل
عضو نقابة السجناء السياسيين / دهوك
عمل لمدة أربع سنوات في الإشراف والمتابعة في مدارس تربية تلكيف
لديه النتاجات التالية (غير مطبوعة)

1- معبد لالش والمراسيم الدينية. بحث ميداني (باللغة العربية)
2- نامرم (لن أموت)قصائد شعرية (باللغة الكردية)
3- تاريخ ختارة بحث تاريخي (باللغة العربية)
4- لكل أغنية قصتها مجموعة من الأغاني الكردية وقصصها من الفلكلور (باللغة الكردية)
5- الحياة في نظر المجانين (باللغة العربية)
6- الحملات على الإيزديين في العهد العثماني (باللغة العربية).

چاپخانا ئازادى، دهوك

المترجم فى سطور

مواليد 1964 ختارة / قضاء تلكيف /الموصل
حاصل على شهادة بكلوريوس في التربية/ قسم التاريخ
سنة 1986 عين لأول مرة في ناحية الإسكندرية/قضاء المسيب/ بابل
سنة 1988 سجن نتيجة مواقفه القومية وعدم الانتماء إلى حزب البعث وفصل من الوظيفة .ثم نفي لمدة سنتين وشهر إلى قصبة أم قصر/ محافظة البصرة على حدود الكويت
رئيس مركز لالش الثقافي والاجتماعي/ ختارة لثلاث مؤتمرات
رئيس تحرير مجلة زمزم لالش
نائب رئيس تحرير جريدة(ده نكى لالش)في دهوك سابقا .
نائب رئيس تحرير جريدة (كانيا سبى) في الموصل سابقا .
منذ سنة 1980 يكتب في الصحافة ،كتب العديد من المقالات في الصحف الكردستانية والعراقية والأوربية باللغتين الكردية والعربية، منها (هاوكارى،عيراق، خبات،كانيا سبى، زمزم لالش ، نور لالش،صوت لالش،خازر ، روژ في المانيا، چرا في هولندا...الخ)
عضو اتحاد نقابة صحفي كوردستان / موصل
عضو نقابة السجناء السياسيين / دهوك
عمل لمدة أربع سنوات في الإشراف والمتابعة في مدارس تربية تلكيف
لديه النتاجات التالية (غير مطبوعة)

1- معبد لالش والمراسيم الدينية. بحث ميداني (باللغة العربية)
2- نامرم (لن أموت)قصائد شعرية (باللغة الكردية)
3- تاريخ ختارة بحث تاريخي (باللغة العربية)
4- لكل أغنية قصتها مجموعة من الأغاني الكردية وقصصها من الفلكلور (باللغة الكردية)
5- الحياة في نظر المجانين (باللغة العربية)
6- الحملات على الإيزديين في العهد العثماني (باللغة العربية).

چاپخانا ئازادى، دهوك